المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

بلاغة ائتلاف اللفظ مع المعنى

في القرآن الكريم ـ لفظة : "الفؤاد" وجمعها نموذجاً

The title of the research: rhetoric, the union of the word with the meaning in the Holy Qur'an – the word : " al-Fouad" and its collection as a model.

بقلم الدكتور

حمدي علي أبو المحاسن البهوي

أستاذ ورئيس قسم البلاغة والنقد المساعد

بكلية اللغة العربية بالمنصورة ـ جامعة الأزهر ـ مصر

الجزء الأول (إصدار يونيو ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

بلاغة ائتلاف اللفظ مع المعنى في القرآن الكريم
ـ لفظة : " الفؤاد " وجمعها نموذجاً

حمدي علي أبو المحاسن البهوي

قسم البلاغة والنقد ـ بكلية اللغة العربية بالمنصورة ـ جامعة الأزهر ـ مصر

البريد الإلكتروني : hamdyalbahwy.32@azhar.edu.eg

الملخص

من المفردات القرآنية التي تعكس دقة البيان القرآني في اختيار ألفاظه بحيث تكون مؤتلفة مع معانيه، لفظة: "الفؤاد" وجمعها، فلها استعمالات في مقامات ومعانٍ بعينها. ومن هنا كانت فكرة تلكم الدراسة، فلا شك أن اصطفاء النظم القرآني للفظة: "الفؤاد" وجمعها، وإيثارها على ما يقاربها في الدلالة، تكمن وراءه نكات بلاغية، تحتاج إلى بحث يسبر أغوارها، ويمضي كاشفًا أسرارها؛ تجليةً لجانب من جوانب إعجاز النظم القرآني الخارق لعادات الناس في كلامهم. وقد اتبعت الدراسة المنهج: الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: بلاغة ، ائتلاف ، اللفظ ، المعنى ، الفؤاد.

The title of the research: rhetoric, the union of the word with the meaning in the Holy Qur'an - the word: "al-Fouad" and its collection as a model.

Hamdi Ali Abu Al-Mahasen Al-Bahwi

Assistant Professor of Rhetoric and Criticism. Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic Language, Mansoura, Al-Azhar University, Egypt.

Email: hamdyalbahwy.32@azhar.edu.eg

Abstract

One of the Qur'anic vocabulary that reflects the accuracy of the Qur'anic statement in choosing its words so that they are in harmony with its meanings is the word "al-Fouad" and its plural, which has uses in specific shrines and meanings. Hence the idea of this study. There is no doubt that the selection of the Qur'anic systems for the word: "heart" and its plural, and its preference over what is close to it in significance, lies behind it rhetorical jokes, which need research that explores its depths and proceeds to reveal its secrets. A manifestation of an aspect of the miraculousness of the Qur'anic systems that are extraordinary to people's habits in their speech. The study followed the descriptive analytical approach. Search.

Keywords: eloquence , coalition , pronunciation , meaning , heart .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وبعد:

فلقد ارتقى العرب في بنيان البلاغة حتى تسنموا أعاليها، وأقاموا مملكة للبيان لا يدرك الناظر مراميها، فأقاموا للكلام أسواقًا، ونصبوا في الأسواق حكومات، حتى بنوا مملكة للبيان، فجاء القرآن فاستوى ملِكًا على كرسيها، وتبوأ عرشها، حيث بسط سلطان بيانه على مملكتهم، حتى رفعوا راية التسليم لسلطانه القاهر.

ولإعجاز نظم القرآن صور تستعصي على الحصر؛ لأن القرآن الكريم لا يخلق، بل هو المعجزة الخالدة التي لا تنتهي عجائبها، ولا تنقضي غرائبها.

ومن صور إعجاز القرآن الكريم، دقته في اصطفاء الألفاظ، بحيث تأتلف مع المعاني، فترى البيان القرآني يؤثر مفردة على أخرى؛ لخصيصة دلالية لا تقوم بأدائها إلا تلك المفردة المصطفاة. ولا شك أن للمفردات أشباهٌ تقاربها في الدلالة، لكنها لا تتطابق معها دلاليًا؛ فلكل لفظة صبغ دلالي يجعلها نسيجًا وحدها.

والحقيقة: أن الترادف وإن كان ظاهرة لغوية، قال بها كثيرون من سدنة اللغة وأربابها، فهو ظاهرة أثمرتها طبيعة البيئة العربية التي نشأت اللغة في أحضانها، حيث القبائل المتعددة، واللغات المختلفة، واللهجات الكثيرة، مما أثمر تلك الظاهرة اللغوية.

وعلى الرغم من ذلك، فالترادف لا يمكن التسليم بوقوعه في القرآن الكريم؛ لأن القرآن من لدن حكيم عليم، ومن مقتضيات الحكمة العلوية والعلم الإلهي، أن تأتي ألفاظ ذلك الكتاب المحكم دقيقة ملائمة لمقاماتها، مؤتلفة مع معانيها على نحو فريد في اصطفاء المفردات على أقدار المرادات.

ولكل مقام من مقامات الكلام ألفاظ تلائمه، وتنهض بالوفاء بحقه، فبها تكتمل الصورة، ويتم بناء المعنى، ولا تقوم شبيهاتها بذلك المعنى. ومما يعكس أهمية الوقوف على دقائق دلالات المفردات أن دلالات التراكيب ومقاصد المقاطع والسور، تتحدد من خلال تلك المفردات التي آثرها البيان القرآني على مقارباتها في الدلالة.

ومن المفردات القرآنية التي تعكس دقة البيان القرآني في اختيار مفرداته، لفظة: "الفؤاد" وجمعها، فلها استعمالات في مقامات ومعانٍ بعينها. ومن هنا كانت فكرة تلكم الدراسة، فلا شك أن اصطفاء النظم القرآني للفظة: "الفؤاد" وجمعها، وإيثارها على ما يقاربها في الدلالة، تكمن وراءه نكات بلاغية، تحتاج إلى بحث يسبر أغوارها، ويمضي كاشفًا أسرارها؛ تجليةً لجانب من جوانب إعجاز النظم القرآني الخارق لعادات الناس في كلامهم.

<u>هذا، وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع أمور، منها:</u>

- جدَّة فكرة هذا البحث، فلم أقف ــ فيما تتبعه خَلَدي ــ على دراسة تناولت هذا الموضوع من قبل.
- الكشف عن أسرار اصطفاء البيان القرآني للفظة: "الفؤاد" وجمعها، على مقارباتها في الدلالة.

•نفسٌ تواقة إلى أن تذوق لذائذ الوقوف على أسرار جانب من جوانب إعجاز ذلكم الكتاب العزيز؛ أملًا في إضافة لبنة إلى بنيان دراسات الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم.

أما عن **الدراسات السابقة**: فلم أقف على دراسة سابقة تناولت معالجة فكرة هذا البحث.

وتكمن **مشكلة البحث** في : أن النظم القرآني آثر استعمال لفظة: "الفؤاد" وجمعها، وذلك في ستة عشر موضعًا من كتاب الله ــ تعالى ــ، وعلى الرغم من استعمال القرآن الكريم لألفاظ تقارب اللفظة محل الدراسة دلاليًا، إلا أن البيان القرآني اصطفى اللفظة محل الدراسة تحديدًا في المواضع الستة عشر دون غيرها، كما أن بيان القرآن الكريم، استعمل صيغة المفرد تارة، وصيغة الجمع تارة أخرى. فكانت الحاجة ماسةً لدراسة بلاغية تحليلية، تحاول إدراك الإعجاز البلاغي لإيثار البيان القرآني للفظة: "الفؤاد" وجمعها، على غيرها من تلك الألفاظ التي تقاربها في الدلالة؛ سعيًا وراء الأسرار والمذاقات والدلالات البلاغية، التي تكمن وراء ذلك الاصطفاء، الذي لاشك أنه لسر بلاغي، يمكن الكشف عنه بتتبع مطاوي النظم القرآني المحكم.

<u>وتهدف الدراسة الإجابة عن أسئلة البحث، والتي أهمها:</u>

ما سر إيثار البيان القرآني للفظة: "الفؤاد" وجمعها في المواضع الستة عشر التي استعملت فيه؟ وما الخَصوصية الدلالية التي تتحقق في اللفظة محل الدراسة ولا تتحقق في غيرها من مقارباتها دلاليًا حتى استعملها القرآن الكريم دون مقارباتها في الدلالة؟ ولم استعمل القرآن الكريم اللفظة محل الدراسة مفردة تارة وجمعًا تارة أخرى؟ وما جهات الائتلاف بين اللفظة

محل الدراسة ومقاصد السور التي أتت فيها؟ وما جهات الائتلاف بين اللفظة محل الدراسة والمقامات والمعاني التي استعملت فيها؟

هذا، وقد جاءت دراستي هذه تحت عنوان: [بلاغة ائتلاف اللفظ مع المعنى في القرآن الكريم ــ لفظة: "الفؤاد" وجمعها نَموذجًا].

واقتضت طبيعة تلك الدراسة أن تخرج في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة عشر مطلبًا، وخاتمة، وفهارس، وبيان ذلك كما يلي:

مقدمة، وتضم: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومشكلة البحث، وأهدافه، وأسئلته، وخطته، والمنهج المتبع في دراسته، ثم التمهيد وعنوانه: مهاد نظري.

ثم يأتي البحث في ثلاثة عشر مطلبًا، وهي:

- المطلب الأول: ائتلاف لفظ:"أفئدتهم"،"أفئدة"مع المعنى في مقام طلب الكافرين مجيء آية ليؤمنوا.
- المطلب الثاني: ائتلاف لفظ: "فؤادك" مع المعنى في مقام بيان حكمة قصّ أنباء الرسل على سيدنا محمد.
- المطلب الثالث: ائتلاف لفظ: "أفئدة"،"أفئدتهم" مع المعنى في مقام دعاء إبراهيم بعمارة مكة.
- المطلب الرابع: ائتلاف لفظ: "الأفئدة" مع المعنى في مقام امتنان الله على عباده بخلق وسائل التلقي.
- المطلب الخامس: ائتلاف لفظ: "الفؤاد" مع المعنى في مقام النهي عن الوقوع في الكبائر.
- المطلب السادس: ائتلاف لفظ: "الأفئدة" مع المعنى في مقام تبكيت منكري البعث.

●المطلب السابع: ائتلاف لفظ: "فؤادك" مع المعنى في مقام بيان حكمة نزول القرآن منجمًا.

●المطلب الثامن: ائتلاف لفظ: "فؤاد" مع المعنى في مقام خوف أم موسى على ولدها.

●المطلب التاسع: ائتلاف لفظ: "الأفئدة" مع المعنى في مقام ذكر أطوار خلق الإنسان.

●المطلب العاشر: ائتلاف لفظ: "أفئدة"،"أفئدتهم" مع المعنى في مقام التذكير بما كان من عاد من عدم الانتفاع بوسائل تلقي الهدايات.

●المطلب الحادي عشر: ائتلاف لفظ: "الفؤاد" مع المعنى في مقام ذكر رحلة المعراج.

●المطلب الثاني عشر: ائتلاف لفظ: "الأفئدة" مع المعنى في مقام ذكر اتصاف الله ــ تعالى ــ بتمام الملك والقدرة والعلم.

●المطلب الثالث عشر: ائتلاف لفظ: "الأفئدة" مع المعنى في مقام ذكر عذاب الهماز اللماز.

أما عن المنهج، فقد اتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

هذا، وأسأل الله ــ تعالى ــ بحوله وقوته أن يتقبل هذا العمل، وأن يثيبني عليه، وأن يجعله في الميزان، يوم تنصب الموازين في ساحة العرض الأكبر، على ذي السلطان الأعظم... اللهم آمين.

تمهيد: مهاد نظري

أولًا: تحرير المصطلحات:

١ـ حقيقة الائتلاف:

جاء في اللغة: "أَلِفْتُه إِلْفًا مِنْ بَابِ عَلِمَ: أَنِسْتُ بِهِ وَأَحْبَبْتُـــه، وَالِاسْـــمُ: الْأُلْفَةُ بِالضَّمِّ وَالْأُلْفَةُ ــ أَيْضًا ــ: اسْمٌ مِنْ الِائْتِلَافِ، وَهُوَ: الِالْتِئَامُ وَالِاجْتِمَاعُ، وَاسْمُ الْفَاعِلِ أَلِيفٌ، مِثْلُ: عَلِيمٍ، وَآلِفٌ مِثْلُ: عَالِمٍ، وَالْجَمْعُ: أُلَّافٌ، مِثْلُ: كُفَّارٍ، وَآلَفْتُ الْمَوْضِعَ إِيلَافًا مِنْ بَابِ أَكْرَمْت وَآلَفْتُهُ أُؤَالِفُهُ مُؤَالَفَةً وَإِلَافًا مِنْ بَـــابِ قَاتَلْتُ ــ أَيْضًا ــ مِثْلُهُ، وَأَلِفْته إِلْفًا مِنْ بَابِ عَلِمَ كَذَلِكَ، وَالْمَـــأْلَفُ: الْمَوْضِـــعُ الَّذِي يَأْلَفُهُ الْإِنْسَانُ، وَتَأَلَّفَ الْقَوْمُ: بِمَعْنَى اجْتَمَعُوا وَتَحَـــابُّوا وَأَلَّفْـــت بَيْـــنَهُمْ تَأْلِيفًا"(١).

- **ائتلاف اللفظ مع المعنى في اصطلاح البلاغيين:**

يقول العلوي: "الائتلاف: وهو افتعال من قولهم: ألَّف الخرز بعضها إلى بعض: إذا جمعها، وهو يأتي على أوجه... منها: تأليف اللفظ مع المعنـــى، وهو: أن تكون الألفاظ لائقة بالمعنى المقصود ومناسبة له، فإذا كان المعنى فخمًا كان اللفظ الموضوع له جزلًا، وإذا كان المعنى رقيقًا كان اللفظ رقيقًا، فيطابقه في كل أحواله، وهما إذا خرجا على هذا المخـــرج وتلاءمـــا هـــذه الملاءمة، وقعا من البلاغة أحسن موقع، وتألفا على أحسن شكل، وانتظمـــا في أوفق نظام، وهذا باب عظيم في علم البديع، وجاء القرآن الكريم علـــى هذا الأسلوب"(٢).

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، (١/ ١٨)، المكتبة العلمية – بيروت، بدون تاريخ.

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، (٣/ ٨٠)، المكتبة العصرية – بيروت، ط الأولى، ١٤٢٣ هـ.

وهكذا تنبه العلوي إلى هذا الوجه من وجوه بلاغة الكتاب العزيز، بل جعل هذا الباب بابًا عظيمًا في علم البديع.

٢ـ حقيقة الفؤاد :

جاء في كتاب العين: "وسُمِّيَ الفُؤاد؛ لتفَؤُّدِه، أي: لتوقُّده... وافتأَدَ القومُ: أَوقَدوا نارًا... وفَأَدْتُ النّارَ: سَجَرْتُ خَشَبَها، والمَفْأَدُ: المَسْجَرُ، والمُفتَأَدُ: موضع النارِ في الأرض، وفأَدْتُ لحمًا: شَوَيتُه"(١).

ويقول صاحب تاج العروس: "فأَد: فَأَدَ الخُبْزَ، كمنَعَ يَفْأَدُه فَأْدًا: جَعَلَه فِي المَلَّةِ، وَهِي: الرَّمَادُ الحَارُّ ليَنْضُجَ. وَفِي التَّهْذِيب: فأدْتُ الخُبْزَةَ، إِذا مَلَلْتها وخَبَزْتها فِي المَلَّة... وَقيل أَصْلُ الفأْدِ: الحَرَكَةُ التَّحْرِيكُ، وَمِنْه اشتُقَّ الفُؤادُ؛ لأَنَّه يَنْبِضُ ويَتَحَرَّك كثيرًا، قَالَ شيخُنَا: هذا أَظهَرُ لعَدمِ تَخلُّفه ومُرادفتِه للقَلْبِ كَمَا صَدَّر بِهِ، وَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ الأَكثر... وَقيل: إِنَّما يُقَال للقَلْبِ: الفُؤَادُ، إِذا اعتُبِرَ فِيهِ معنَى التَّفؤُّدِ، أَي: التَّوَقُّد"(٢).

وهكذا تدور لفظة الفؤاد حول معاني: التوقد والنبض والحركة الكثيرة.

- **الفرق بين القلب والفؤاد**:

لم يفرق بينهما بعض اللغويين، بينما فرق بعضهم بينهما، يقول الجوهري: "الفُؤادُ: القلبُ"(٣)، ويقول الزبيدي: "وَفِي (الْكِفَايَة) مَا يقضِي أَن الفُؤادَ والقَلْبَ مُترَادِفانِ، كَمَا صدَّرَ بِهِ المصنّفُ، وَعَلِيهِ اقتصرَ فِي الْمِصْبَاح.

---

(١) كتاب العين، الخليل بن أحمد، تح/ د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي،(٨/ ٧٩)، دار ومكتبة الهلال، بدون تاريخ.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، تح/ جماعة من المختصين،(٨/ ٤٧٦) وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، بدون تاريخ.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تح/ أحمد عبد الغفور عطار، (٢/ ٥١٧) ط دار العلم للملايين – بيروت، ط الرابعة، ١٩٨٧م.

والأَكثرُ على التَّفْرقة. قَالَ الأَزهَرِيُّ: القَلْبُ مُضْغَةٌ فِي الفُؤَادِ، مُعَلَّقَةٌ بالنِّيَاطِ... وَقيل: الفُؤادُ: وِعاءُ القَلْبِ أَو داخِلُه، أَو غِشاؤُه، والقَلْبُ حَبَّتُه. كَمَا قَالَه عِياضٌ وغيرُه. وأَشار إِليه ابنُ الأَثير. وَفِي (البصائر) للمصنِّف: وَقيل: القَلْب أَخَصُّ من الفُؤادِ"(١).

ويقول أبوهلال العسكري: "قال بعض أصحابنا من أهل الحديث، الأفئدة توصف بالرقة، والقلوب باللين؛ لأن الفؤاد: غشاء القلب، إذ رق نفذ القول فيه وخلص إلى ما وراءه، وإذا غلظ تعذر وصوله إلى داخله، وإذا صادف القلب شيئًا علق به إذا كان لينًا"(٢).

ويقول الرازي: "الْفُؤَادَ إِنَّمَا خُلِقَ لِلْمَعَارِفِ الْحَقِيقِيَّةِ وَالْعُلُومِ الْيَقِينِيَّةِ"(٣)، وقال: "وَالْقَلْبُ مَقَرُّ الْإِيمَانِ: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الْحُجُرَاتِ: ٧]، وَالْفُؤَادُ مَقَرُّ الْمَعْرِفَةِ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤادُ مَا رَأى﴾ [النَّجْمِ:١١]"(٤). وقال ابن عاشور: "الْفُؤَادَ يَشْمَلُ الْحَوَاسَّ الْبَاطِنَةَ كُلَّهَا وَالْعَقْلُ بَعْضٌ مِنْهَا"(٥).

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، (٨/ ٤٧٧).

(٢) معجم الفروق اللغوية، أبوهلال العسكري، تح/ الشيخ. بيت الله بيات،(ص٤٣٣)، مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ«قم»، ط الأولى، ١٤١٢هـ.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي، (٢٠/ ٢٥١)، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الثالثة،١٤٢٠ هـ.

(٤) مفاتيح الغيب، (٢٢/ ٤١).

(٥) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الطاهر بن عاشور، (٢١/ ٢١٧)، الدار التونسية للنشر – تونس،١٩٨٤هـ.

وبهذا تكون كلمة اللغويين متباينة حول الفؤاد والقلب، ما بين قائل بالترادف بينهما، وقائل باختصاص كل منهما بدلالة خاصة.

والذي أراه: أن القلب غير الفؤاد، وقد فرق القرآن الكريم بينهما، قال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (١)، فاستخدم بيان القرآن الكريم: "الفؤاد" لمعنى، كما استخدم: "القلب" لمعنى آخر.

كما فرق النبي الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ في بيانه الشريف بين: "الفؤاد" و"القلب"، حيث يقول: "أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَلْيَنُ قُلُوبًا، وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ"(٢) فعبر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في جانب القلوب باللين، وفي جانب الأفئدة بالرقة، مما يؤكد وقوع الفروق الدقيقة بين اللفظتين.

ومما سبق يتأكد: أن معنى الفؤاد يدور حول: كونه غشاء القلب، وهو محل تلقي العلوم والمعارف والمشاعر والمواجيد، والتي تستقر في القلب بعد أن تمر على الفؤاد، ولعل مما يؤكد كون الفؤاد غشاء ووعاء، أنه مشتق من الفأد(٣)، فما في الفأد من معنى الشوي وما يستتبعه من احتراق لسطح المشوي، يلائم الفؤاد الذي يتلقى لوعة المشاعر وحرقة الأحاسيس،

---

(١) سورة القصص، الآية: ١٠.

(٢) المسند، للإمام أحمد بن حنبل، تح/ أحمد محمد شاكر، (١٢/ ٤٠٢) دار الحديث – القاهرة، ط الأولى، ١٩٩٥ م.

(٣) يقول صاحب كتاب العين: "وسُمِّيَ الفُؤاد؛ لتفَؤُّدِه، أي: لتوقُّده. وفُئِدَ الرجلُ فهو مَفؤود، أي: أصابَه داء في فؤاده، وافتأَدَ القومُ: أَوقَدوا نارًا... وفَأَدْتُ النّارَ: سَجَرْتَ خَشَبَها، والمَفأَدُ: المَسْجَرُ، والمُفتَأَدُ: موضع النارِ في الأرض. وفأَدْتُ لحمًا: شَوَيتُه" كتاب العين، (٨/ ٧٩).

كما أن الشوي يؤثر في سطح اللحم المشوي، ويغير خواصه، وكذلك الفؤاد يمثل غلافًا ووعاء للقلب.

فعلى الرغم من التقارب الدلالي، والتقارب المكاني بين القلب والفؤاد، إلا أن بينهما من الفروق الدلالية ما يدق خفاه على العَجِل، الذي لا يطيل المكث بين لفائف النص ومطاويه. وعليه فقول بعض أصحاب المعاجم بأن: القلب هو الفؤاد، قول بلا دليل، ولعل في فكرة هذا البحث، وما سيتمخض عنه من نتائج ما يدحض هذا القول.

- **ثانياً: بلاغة ائتلاف اللفظ مع المعنى في القرآن الكريم:**

إن ائتلاف اللفظ مع المعنى جنس من التناسب، وقد احتفى العلماء ببلاغة التناسب، يقول الزركشي: "المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول"(١).

ومن دلائل إعجاز القرآن الكريم، ائتلاف ألفاظه مع معانيه، بحيث لا تصلح لفظة لتسد مسد اللفظة التي اصطفاها القرآن الكريم.

ولدقة تلك الخصوصية القرآنية سمّاها الخطّابي: عمود البلاغة، يقول: "ثم اعلم أن عمود هذه البلاغة ...هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أُبدل مكانه غيره جاء منه، إما: تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما: ذهاب الرونق الذى يكون معه سقوط البلاغة، ذلك أن في الكلام ألفاظًا متقاربة في المعاني، يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبخل والشح، وكالنعت والصفة،

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم،(٣٥/١)، دار إحياء الكتب العربية ــ القاهرة، ط الأولى، ١٣٧٦هـ.

وكقولك: اقعد واجلس...والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك؛ لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانا قد يشتركان في بعضها"(١).

فالخطّابي يؤكد على فكرة الصبغ الدلالي الخاص لكل مفردة قرآنية، فالمفردة القرآنية وإن تقاربت دلالتها مع غيرها، إلا أن خصيصة التميُّز الدلالي تبقى ملازمة لألفاظ القرآن الكريم.

هذا، وقد عقد ابن أبي الإصبع بابًا بعنوان: "باب ائتلاف اللفظ مع المعنى" قال فيه: "وتلخيص معنى هذه التسمية: أن تكون ألفاظ المعنى المطلوب ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى، ومثال ذلك قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾(٢) ... فعدل عز وجل. وهو أعلم. عن ذكر الطين، الذي هو مجموع التراب والماء إلى ذكر مجرد التراب؛ لأنه أدنى العنصرين، وأكثفهما، لما كان المقصود مقابلة من ادعى في المسيح الإلهية بما يصغر أمر خلقه عند من ادعى ذلك، فهذا كان الإيتان بلفظة: (التراب) أمتن بالمعنى من غيرها من العناصر"(٣).

فابن أبي الإصبع أكد فكرة ائتلاف اللفظ مع المعنى في القرآن الكريم، بالاستشهاد عليها، مما يُقنع المتلقي ويرسخ الفكرة في وجدانه، فعلى الرغم من التقارب الدلالي بين لفظتي: (التراب) و(الطين) إلا أن بيان النظم القرآني

---

(١) بيان إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: "ثلاث رسائل في إعجاز القرآن"، الخطابي، (ص٢٩) تح/ د.محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، ط دار المعارف بمصر، ط الثالثة، ١٩٧٦م.

(٢) سورة آل عمران، جزء من الآية: ٥٩.

(٣) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع، تح/ د. حفني محمد شرف، (ص١٩٤)، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، بدون تاريخ.

اصطفى لفظة: (تراب)؛ لما لها من صبغ دلالي خاص، يجعلها وحدها المؤتلفة مع المقام والمعنى المراد، دون غيرها من مقارباتها في الدلالة.

فمن خصائص اللفظة القرآنية: أنها تلائم المعنى والسياق والمقام وتوافقهما؛ ولذا ترى القرآن الكريم يؤثر لفظة على مقارباتها في الدلالة، فلكل لفظة بصمة دلالية لا تؤديها غيرها، يقول الجاحظ: "وقد يستخف الناس ألفاظًا ويستعملونها، وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله_تبارك وتعالى ــ لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السَّغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة.وكذلك ذكر المطر؛لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام. والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث"[1].

فالجاحظ ــ رحمه الله ــ تنبه إلى ما يقع في كلام الناس من عدم الدقة في استعمال الألفاظ، بينما تخرق بلاغة القرآن المعجز عادات الناس في استعمالهم لمفردات اللغة.

هذا، وعلى الرغم من اعتناء الإمام/ عبدالقاهر بنظرية النظم، إلا أنه لم يهمل بلاغة ائتلاف المفردة مع المعنى، يقول: «اعلم أن لكل نوع من المعنى نوعًا من اللفظ هو به أخص وأولى، وضروبًا من العبارة هو بتأديته أقوم، وهو فيه أجلى، ومأخذًا إذا أخذ منه كان إلى الفهم أقرب، وبالقبول أخلق، وكان السمع له أوعى، والنفس إليه أميل»"[2].

---

(١) البيان والتبيين، الجاحظ، (١/ ٤١)، دار ومكتبة الهلال ــ بيروت،١٤٢٣هـ.

(٢) دلائل الإعجاز، الإمام/ عبدالقاهر الجرجاني، تح/ محمود شاكر، (ص٥٧٥) مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط الثالثة، ١٩٩٢م. وينظر: الرسالة الشافية، مطبوع ضمن: "ثلاث رسائل في إعجاز القرآن"، عبدالقاهر الجرجاني، تح/ د.محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، (ص١١٧)، ط دار المعارف بمصر، ط الثالثة، ١٩٧٦م.

فكل مفردة قرآنية لها شخصية دلالية وصبغ خاص، فلا يمكن أن ينوب عنها غيرها، "فكل لفظة من ألفاظ القرآن وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء، ولذلك لا نجد فيه ترادفًا، بل كل كلمة تحمل إليك معنى جديدًا"(١).

وإذا كان ائتلاف اللفظ مع المعنى سمت بلاغة البيان المعجز، فإن هذا الضرب من ضروب البلاغة لا يستطيع أحد من البشر سبيلًا إليه إلا من أوتي حظًا من القدرة على فن القول، يقول د/ أحمد مطلوب: "فائتلاف اللفظ مع المعنى أساس الكلام البليغ، ويتضح ذلك في شعر الفحول من شعراء العرب، أما صغارهم فإنهم يقعون بعيدًا عن هذا الفن البديع"(٢).

- **الترادف يقع في كلام العرب لا في النظم القرآني**:

وإذا كان الترادف لا يقع في النظم القرآني، فتلك خصوصية تمثل وجهًا من وجوه الإعجاز البياني تفرد بها القرآن الكريم. وهذا لا ينفي أن الترادف ظاهرة لغوية وردت في كلام العرب، وقد نقل السيوطي في المزهر عن غير واحد من اللغويين قولهم بوقوع الترادف في كلام العرب، يقول: «وفي أمالي القالي: الكِركِرَة والكَلْكَل والبَرْك والبِرْكة والجَوشن والجَوش والجُوْشوش والمِحْزَم والحَيزُوم والحزِيم: الصدر»(٣). وإذا كان الترادف يقع في كلام العرب، فإنه لا يقع في القرآن الكريم، وفي ذلك ما يمثل وجهًا من وجوه الإعجاز.

---

(١) إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، د. حفني محمد شرف، ص٢٢٢، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ القاهرة، ط الأولى ، ١٩٧٠م.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د/ أحمد مطلوب، (٢٢/١)، ط المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣م.

(٣) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تح/ فؤاد علي منصور،(١/ ٣٢١)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى، ١٩٩٨م.

المطلب الأول:

ائتلاف لفظ: " أفئدتهم "، " أفئدة " مع المعنى في مقام طلب الكافرين مجيء آية ليؤمنوا

•المقطع الذي أتى فيه اللفظ:

يقول تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [1].

• ائتلاف اللفظ مع مقصد السورة:

يقول الإمام البقاعي: "ومقصودها: الاستدلال على ما دعا إليه الكتاب في السور الماضية من التوحيد، بأنه سبحانه الحائزُ لجميع الكمالات، من الإيجاد والإعدام، والقدرة على البعث وغيره. وأنسب الأشياء المذكورة فيها لهذا المقصد: الأنعام"[2].

---

(١) سورة الأنعام، الآيات: ١٠٩: ١١٤.

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، (٢/ ١١٨)، مكتبة المعارف – الرياض، ط الأولى، ١٩٨٧م.

في المقطع السابق لفظتان:

اللفظة الأولى: ﴿أفئدتهم﴾ وقد أتت في قوله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ (١).

واللفظة الثانية: ﴿أفئدة﴾ وقد أتت في قوله تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾(٢).

واللفظتان تناسبان المقصد العام للسورة؛ فالأولى: أتت مقترنة بالأبصار، وهما معًا وسلتان لتلقي الهدايات، وقد صرف الحق ــ سبحانه وتعالى ــ الكافرين عن قبول الحق، فقلَّب أفئدتهم وأبصارهم عن الإيمان بالآيات الدالة على قدرته ــ تعالى ــ، لمَّا علم منهم أزلًا إعراضهم وعنادهم، وفي سابق فعلهم ما يؤكد ذلك، يقول البغوي: "﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، أَيْ: كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِمَا قَبْلَهَا مِنَ الْآيَاتِ مِنَ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ وَغَيْرِهِ"(٣) وإذا كان مقصود السورة الاستدلال على التوحيد، بأنه سبحانه الحائزُ لجميع الكمالات، من الإيجاد والإعدام، والقدرة على البعث وغيره ــ كما ذكر البقاعي ــ فإن وسيلة تلقي دلائل التوحيد هي الأفئدة، فهي أول ما يتلقى تلك الهدايات؛ لأن الفؤاد غِلاف القلب ووعاؤه، ثم تستقر الهدايات في القلب الذي هو داخل الوعاء، وبهذا تتجلى مناسبة اللفظة التي آثرها البيان القرآني لمقصد السورة.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٣.

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، تح/ عبد الرزاق المهدي،(٢/ ١٥٢)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الأولى، ١٤٢٠ هـ.

واللفظة الثانية: ﴿أفئدة﴾ وردت في قوله تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [1] وتصغى بمعنى: تميل، جاء في تاج العروس: "وأَصْغَتِ النَّاقَةُ إصْغاءً: إذا أَمالَتْ رأْسَها إِلَى الرَّجُلِ، وفِي بعضِ نسخِ الصِّحاح: إِلَى الرَّحْلِ؛ كالمُسْتَمِع شَيْئًا، وذلكَ حينَ يَشدُّ عَلَيْهَا الرَّحْلَ"[2] وفي معنى: "ولتصغى إليه" يقول أبو السعود: "﴿ولتصغى إِلَيْهِ﴾ أي: إلى زُخرُفِ القولِ وهو... علة أخرى للإيحاء معطوفةٌ على غرورًا"[3] فأفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة تميل إلى زخرف قول شياطين الإنس والجن؛ اهتمامًا به واستعذابًا له، لما في أنفسهم من ميل فطري لذلك الزخرف المشار إليه، دونما اهتمام بالبراهين الدالة على وجود الله، الداعية إلى توحيده ــ سبحانه وتعالى ــ، وهو سبحانه الحائزُ لجميع الكمالات من الإيجاد والإعدام، والقدرة على البعث وغيره، فكان الإيمان به ــ سبحانه ــ واجب بعد ظهور دلائل قدرته. وبهذا تتجلى العلاقة بين اللفظة ومقصد السورة.

ففي لفظة: ﴿أفئدة﴾ ما يناسب المقصد العام للسورة؛ فالأفئدة وسيلة لتلقي الهدايات والضلالات، وهي هنا آثرت الضلالات فمالت إليها.

- **ائتلاف اللفظ مع المعنى**:

جاء في السياق الواقعي لهذه الآيات: كلم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قريشًا، فقالوا: يا محمد: تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٣.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، (٣٨/ ٤٢٥).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (٣/ ١٧٦)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.

بها الحجر، فائتنا بشيء من الآيات حتى نصدقك، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "أيّ شيء تحبون أن آتيكم به؟"، قالوا: تجعل لنا الصفا ذهبًا، فقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يدعو، فجاءه جبريل –عليه السلام–، فقال له: "لكَ ما شئتَ: إن شئتَ أصبحَ ذهبًا، ولئن أرسلتْ آية فلم يصدقوا عند ذلك لنعذبنهم، وإن شئتَ فاتركهم حتى يتوب تائبهم"، فقال: "بل يتوب تائبهم"؛ فأنزل الله –تعالى–: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ...وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١) ﴾[(١)].

إن المتأمل في السياق الواقعي للآيات يدرك أن لفظة: ﴿أفئدتهم﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[(٢)] هي الملائمة للمقام، فقد اعتبر بيان القرآن الكريم خصوصية إيثار تلك اللفظة على غيرها من تلك الألفاظ التي تقاربها في الدلالة؛ لما في تلك اللفظة من خصوصية دلالية؛ إذ الإيمان لا يدخل القلب إلا عن طريق وعائه وغِلافه الذي هو وسيلة تلقي هداية الإيمان، ولعل في اقتران الأفئدة بالأبصار ما يؤكد على كون كل منهما وسيلة تلقٍ لتلك الهدايات الإلهية.

كما أن لفظة: ﴿أفئدة﴾ تلائم المقام في قوله تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[(٣)]؛

---

(١) ينظر: الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عيد الهلالي، محمد بن موسى آل نصر،(٢/ ١٥٣)، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ــ المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤٢٥هـ.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١٣.

فالأفئدة هي وسيلة التلقي، وزخرف القول الذي يتردد بواسطة شياطين الإنس والجن تميل إليه الأفئدة، ولذلك كانت لفظة: ﴿الأفئدة﴾ هي الملائمة للمقام، وميل الأفئدة فيه ميل للقلوب وزيادة؛ إذ القلوب حَبّات تقع في الأفئدة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ صور البيان القرآني الأفئدة آذانًا، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، وفي إثبات لازم المشبه به للمشبه، في قول: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾ استعارة تخييلية، قرينة للمكنية. وفي تصوير الأفئدة آذانًا تَصغَى إلى زخرف القول ما يُبين عن حال هؤلاء الكافرين، وكيف أن أفئدتم سيطر عليها الهوى، ففقدت القدرة على الاستيعاب، وصارت مسيرةً كالآذان التي هي وسيلة نقل لما يذكر، دونما إرادة أو وعي أو تفكير.

ولا شك أن "خصوصية الانتقاء القرآني، تدعونا إلى الإقرار بتفرّد كلّ كلمة بمعناها الخاصّ، مستندِين إلى السياق القرآني، فإذا كان الترادف موجودًا في اللغة، فهو بعيد عن تهذيب القرآن اللغوي، وتمكّن مفرداته من معانيها وظلالها الخاصّة"(١).

وهكذا يتأكد لنا دقة البيان القرآني في انتقاء مفرداته، وبناء صوره؛ لتنقل لنا مرادات الحق ــ سبحانه وتعالى ــ كما أرادها.

---

(١) جماليات المفردة القرآنية، د/ أحمد ياسوف، (ص٧٤)، دار المكتبى – دمشق، ط الثانية، ١٩٩٩م.

المطلب الثاني:

ائتلاف لفظ: "فؤادك" مع المعنى في مقام بيان حكمة قصّ أنباء الرسل على سيدنا محمد.

- **المقطع الذي أتى فيه اللفظ:**

يقول تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[1] .

- **ائتلاف اللفظ مع مقصد السورة:**

"ومقصودها: وصف الكتاب بالإحكام والتفصيل، في حالتي البشارة والنذارة، المقتضي لوضع كل شيء في أتم محاله وإنفاذه مهما أريد، الموجب للقدرة على كل شيء"[2].

إن المتدبر، يدرك أن النظم القرآني هنا آثر لفظة: ﴿ فُؤَادَكَ﴾ وذلك في قوله ــ تعالى ــ :﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[3] وقد أتت لفظة: ﴿فُؤَادَكَ﴾ ملائمة للمقصد العام لسورة هود؛ فالسورة تقصد ــ كما ذكر الإمام البقاعي ــ وصف القرآن بالإحكام والتفصيل، أي: الدقة العالية والإتقان الكامل، الذي لا يعتريه فساد أو خلل. ولا شك أن اصطفاء بيان القرآن الكريم للفظة: ﴿ فُؤَادَكَ﴾

---

(١) سورة هود، الآيات: ١٢٠:١٢٣.

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (٢/ ١٧٥).

(٣) سورة هود، الآية: ١٢٠.

فيه من مظاهر ذلك الإحكام والإتقان ما لا يخفى، فهذه اللفظة أدق في موضعها من أي لفظة تقاربها في الدلالة، فاصطفاؤها هنا من مظاهر إحكام القرآن الكريم.

وإذا كان من مقاصد السورة: بيان قدرة الله ــ تعالى ــ على كل شيء ــ كما ذكر الإمام البقاعي ــ فإن من صور تجلي تلك القدرة أن يُثبِّت الله ــ تعالى، فؤاد نبيه بقصِّ أنباء الرسل السابقين، فتثبيت الفؤاد تثبيت للقلب وزيادة؛ لأن الفؤاد وعاء القلب وغلافه، والقلب داخل الفؤاد، ففي تثبيت الفؤاد امتنان من الله على نبيه صلى الله عليه وسلم، وبيان لاقتدار الحق ــ سبحانه وتعالى ــ على أمر عظيم، وهو تثبيت فؤاد النبي الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فما ناله سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ من ألوان الإيذاء المعنوي والمادي، جعل أمر تثبيت فؤاده من دلائل طلاقة قدرة الحق ــ سبحانه وتعالى ــ.

•ائتلاف اللفظ مع المعنى:

المقام مقام تسرية ومؤانسة وبيان لحكمة السماء في قص أنباء الرسل السابقين على سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

والمتدبر لسياق المقطع المشتمل على لفظة: ﴿فؤادك﴾ يستوقفه النظم القرآني، الذي يؤكد على أن لفظة: ﴿فؤادك﴾ فيها من الخصوصية ما يجعلها ملائمة للمقام، فلا تقوم لفظة قريبة منها في الدلالة مقامها؛ فتثبيت الفؤاد الذي هو غلاف ووعاء للقلب تثبيت للقلب وزيادة، فقد نال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الإيذاء الشديد ما جعله في حاجة إلى تثبيت يلائم الابتلاء؛ لذا كان التثبيت للفؤاد، وهذا هو الملائم للمقام.

وفي النظم: ما يؤكد على ابتلاء عظيم تعرض له النبي الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ، قوبل بعطاء عظيم من رب عظيم يعلم السر وأخفى، يعلم ما ابتلي به النبي محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ . أما الابتلاء العظيم: فهو ما تعرض له النبي محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ من إيذاء شديد تنوعت صوره ما بين معنوي ومادي حتى شق ذلك على النبي. وأما العطاء: فمنه تلك المنيحة الربانية بأن يقص الحق جل جلاله على نبيه الكريم من أنباء الرسل.

ولنتأمل في قوله تعالى: ﴿نقص﴾ بنون العظمة، التي تعطينا معنى المؤانسة التي لا يبقى بعدها وحشة ولا قلق، كما أن ﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِن أنباء ما قد سبق﴾ تدل من خلال معنى التبعيض على أن الأنباء كثيرة حول ابتلاءات الأنبياء، فلست بدْعًا يامحمدُ إذ تُبتلى.

كما أن في إيثار البيان القرآني للفظة :﴿أنباء﴾ ما أمد النظم بدلالة لها خصوصية؛ حيث إن لفظة: ﴿أنباء﴾ جمع: (نبأ) و"(النبأ): الخبر الذي له شأن عظيم، ومنه اشتقاق النبوة؛ لأن النبي مخبر عن الله ــ تعالى ــ ... وقال الراغب: النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر نبأ حتى يتضمن هذه الاشياء"[1] وعلى ذلك فلفظة : ﴿أنباء﴾ فيها من الخصوصية ما ليس في الأخبار، كما أن لفظة: ﴿نثبت﴾ فيها معنى الإثبات، جاء في أساس البلاغة: "وهو ثبت من الأثبات: إذا كان حجة؛ لثقته في روايته. ووجدت فلانًا من الثقات، والأعلام الأثبات، وتثبت في الأمر واستثبت فيه: إذا تأنى، ورجل ثبت في الأمور: متثبت. وتثبت الشيء

(١) معجم الفروق اللغوية، (ص٥٢٩).

واستثبته، وضرب الوتد في الحائط فأثبته فيه"[1] وهذا ما يلائم المقام والمعنى، فما تعرض له النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يحتاج إلى تثبيت ولا يحتاج إلى مجرد طمأنة أو تسكين؛ فالابتلاء عظيم. يقول الزمخشري: "ومعنى تثبيت فؤاده: زيادة يقينه وما فيه طمأنينة قلبه؛ لأن تكاثر الأدلة أثبت للقلب وأرسخ للعلم"[2].

وهكذا تأكد: أن لفظة : ﴿فؤادك﴾ هي الملائمة للمقام، والسياق، بل وملائمة لجاراتها من الألفاظ. ولا تؤدي غيرها المراد. وهذا يؤكد أن: "كل لفظة من ألفاظ القرآن وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء، ولذلك لا نجد فيه ترادفا، بل كل كلمة تحمل إليك معنى جديدا"[3].

---

(١) أساس البلاغة، الزمخشري، تح/ محمد باسل عيون السود، (١/ ١٠٣)، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط الأولى، ١٩٩٨م.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (٢/ ٤٣٩)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٧هـ.

(٣) إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، (ص٢٢٢).

المطلب الثالث:

ائتلاف لفظ: "أفئدة"،"أفئدتهم" مع المعنى في مقام دعاء إبراهيم بعمارة مكة.

- **المقطع الذي أتى فيه اللفظ:**

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾[1].

- **ائتلاف اللفظ مع مقصد السورة:**

"ومقصودها: التوحيد، وبيان أن هذا الكتاب غاية البلاغ إلى الله؛ لأنه كافل ببيان الصراط الدال عليه، المؤدي إليه. وأدل ما فيها على هذا المرام:

(١) سورة إبراهيم، الآيات: ٣٥: ٤٤.

قصة إبراهيم عليه السلام. أما التوحيد: فواضح. وأما أمر الكتاب: فلأنه من جملة دعائه لذريته"[1].

وردت اللفظة في موضعين: الأول: في قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[2] آثر بيان القرآن الكريم لفظة: ﴿أفئدة﴾ على غيرها من مقارباتها في المعنى؛ وذلك لأن لفظة: ﴿أفئدة﴾ ملائمة لمقصد السورة، وإذا كانت السورة يدور مقصدها على التوحيد، وبيان أن هذا الكتاب غاية البلاغ إلى الله، ففي اللفظة المؤثرة ما يلائم التوحيد؛ فالأفئدة: التي هي أوعية القلوب، عندما تهوي إلى أسرة سيدنا إبراهيم ــ عليه السلام ــ ويقبل أصحاب تلك الأفئدة بشوق وأنس ومحبة، مما يعين أسرة سيدنا إبراهيم على العبادة التي هي عنوان التوحيد؛ لذلك قال سيدنا إبراهيم ــ عليه السلام ــ : ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ فإقامة الصلاة، يُقصد بها ربٌّ واحد، وإقامة تلك الصلاة مسببة عن استجابة الله ــ تعالى ــ دعوة سيدنا إبراهيم ــ عليه السلام ــ ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾.

يقول البقاعي: "وأما أمر الكتاب: فلأنه من جملة دعائه لذريته الذين أسكنهم عند البيت المحرم، ذرية إسماعيل عليه السلام"[3].

---

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (٢/ ١٩٨).

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

(٣) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (٢/ ١٩٨).

وجلي أن لفظة: ﴿أفئدة﴾ ملائمة لهذا المقصد، فلا يمكن لمقارباتها أن تسد مسدها وأن تعطي دلالتها؛ ذلك أن من تلك الأفئدة التي هوت ذرية إسماعيل ــ عليه السلام ــ فؤاد سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فببركات دعوة سيدنا إبراهيم ــ عليه السلام ــ بعث الله ــ تعالى ــ في ذرية سيدنا إسماعيل ــ عليه السلام ــ سيدنَا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقد كانت محبة سيدنا محمد لأمته التي هي من ذرية سيدنا إسماعيل ــ عليه السلام ــ محبة المتشوق المحب الحريص الرؤوف الرحيم، مصداق قول الله ــ تعالى ــ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[1] وبهذا تكون لفظة: ﴿أفئدة﴾ هي الملائمة لمقصد السورة الكريمة.

الثاني: وذلك في قوله تعالى: ﴿مُهطِعِينَ مُقنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرتَدُّ إِلَيهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ الآية تصف حال الظالمين يوم القيامة، فهم ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين إلى الداعي، وقيل: الإهطاع: أن تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر إليه لا تطرف. مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ: رافعيها. لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ: لا يرجع إليهم أن يطرفوا بعيونهم، أي: لا يطرفون، ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للأجفان، أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم. الهواء: الخلاء الذي لم تشغله الأجرام، فوصف به فقيل: قلب فلان هواء: إذا كان جباناً لا قوّة في قلبه ولا جرأة، ويقال للأحمق ــ أيضًا ــ : قلبه هواء... وعن ابن جريج: أَفْئِدَتُهُمْ هَواءٌ صفر من الخير خاوية منه، وقال أبو عبيدة: جوفٌ لا عقول لهم"[2].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (٢/ ٥٦٣).

فلفظة: "﴿أفئدتهم﴾ ملائمة لمقصد السورة، فإذا كانت السورة يدور مقصدها على التوحيد ــ كما ذكر الإمام البقاعي ــ فالذين أنكروا التوحيد وجحدوا الكتاب، وكانوا من الظالمين، جزاؤهم الفزع الأكبر يوم القيامة، لدرجة أن أفئدتهم هواء خِلْوٌ من أي طمأنينة؛ إذ الطمأنينة للموحدين لا للكافرين الظالمين. وفي إيثار: ﴿أفئدتهم﴾ دلالة ما كانت لتتحقق بدون هذه المفردة. فالفؤاد: وعاء القلب، وفراغ الفؤاد أقوى في أداء المراد من فراغ القلب الذي هو داخل الفؤاد.

- **ائتلاف اللفظ مع المعنى**:

<u>وردت اللفظة في موضعين:</u>

الأول: في قوله تعالى: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ ومقامه: توجُّه سيدنا إبراهيم ــ عليه السلام ــ بالدعاء لربه ــ سبحانه وتعالى ــ بعد أن أُمر بأن يجعل زوجه وولده في واد غير ذي زرع عند بيت الله المحرم، وهنا سأل الله أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إلى أسرته.

وقد أثر القرآن الكريم لفظة: "أفئدة" في قوله تعالى: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ وذلك في طلب الشوق واللهفة والمحبة التي لا يملك المرء معها إلا أن يتحرك دونما إرادة أو اختيار، فهي أفئدة تهوي، أي: تسقط بلا اختيار أو إرادة، إنها مدفوعة بقوة الإرادة الربانية. يقول ابن عاشور: "وَتَهْوِي- مُضَارِعُ هَوَى- بِفَتْحِ الْوَاوِ-: سَقَطَ. وَأُطْلِقَ هُنَا عَلَى الْإِسْرَاعِ فِي

الْمَشْيِ اسْتِعَارَةٌ"[١]. وقيل تهوي: تحب، يقول الطيبي: "قوله: ﴿تهوى إليهم﴾ ... من هوي يهوى: إذا أحب"[٢].

إن زخارف الحياة ومباهج الدنيا التي يمكن أن تكون جاذبة للنـــاس، ليس متحققة في الوادي الجديد؛ فهو وادٍ بلا زرع ولا ثمر، يقـــول تعـــالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [٣] ولما كانت متع الحياة متلاشية من ذلك الوادي، كانت النفوس زاهدة فيه، عازفة عنه، وهنا كانت دعوة سيدنا إبراهيم ــ عليه السلام ــ تنشد عمارة المجتمـــع الجديـــد الذي قطنته أسرته الأثيرة، وبدافع من مسئولية رب الأسرة الزوج والوالـــد، فاضت نفس أبي الأنبياء ــ عليه السلام ــ تتدفق بالحنو وتتفجر بالشـــفقة: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ فالفاء: تعطى معنى رغبة العجلـــة فـــي تحقيق المطلوب، كما أن: ﴿اجعل﴾ تعكس إدراك ســـيدنا إبـــراهيم للواقـــع، فالوادي خلْوٌ من مفاتن الحياة التي تُدني الناس إليه، وعلى ذلك فلا ســـبيل لتحقيق المراد إلا بجَعْلٍ يحول رغبة الناس ويسوقهم بلا اختيار، وفي إيثـــار لفظة: ﴿أفئدة﴾ ما يؤكد على معنى الإقبال المصحوب بشوق عارم، ولَهَـــف سائق، فسيدنا إبراهيم ــ عليه السلام ــ، لا ينشد عمارة الوادي، لكن ينشد عمارته بصفوة من المشتاقين لسكناه، العاشقين لثراه.

---

(١) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٣/ ٢٤٢).

(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، الطيبي، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب، د. محمد عبد الرحيم،(٨/ ٦١٧)، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط الأولى، ٢٠١٣م.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

يقول الطيبي: "التعريف في: ﴿النَّاسَ﴾ للجنس، والمراد: قوم مخصوصون، أي: نشأ جعل الأفئدة مائلة إلى جهة الكاملين من الناس"(١).

ولعل دعوة سيدنا إبراهيم تفسر لنا ما يحمله الناس في كل البلدان والأزمان من شوق عارم لذلك الوادي الأثير، وتأمل في بيان القرآن: ﴿أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ فجرد من الناس أفئدة تسقط بلا اختيار، ولما كان الفؤاد: غلاف القلب، كان في إيثار لفظة: ﴿أفئدة﴾ ما يلائم المقام، فهي أفئدة بما فيها من حبات القلوب، تتحرك نحو الوادي الجديد بلا إرادة، ولا يخفى أن في لفظة: ﴿أفئدة﴾ من القوة في المعنى ما ليس في غيرها.

إننا بين يدي مشهد تتزاحم فيه الدلالات، التي ترسم توقد عاطفة هؤلاء القوم الذين يدعو إبراهيم ربه؛ ليجعلهم يتوجهون إلى ذلك الوادي، والرغبة في الإقبال عليه.

إن لفظة: ﴿أفئدة﴾ ملائمة لمقامها، مؤدية للمعنى، بحيث لا يمكن لغيرها من شبيهاتها أن تؤدي المراد. يقول الطاهر بن عاشور: "وَالْمُرَاد: فَاجْعَلْ أُنَاسًا يَهْوُونَ إِلَيْهِمْ، فَأَقْحَمَ لَفْظَ: ﴿الْأَفْئِدَةِ﴾ لِإِرَادَةِ أَنْ يَكُونَ مَسِيرُ النَّاسِ إِلَيْهِمْ عَنْ شَوْقٍ وَمَحَبَّةٍ، حَتَّى كَأَنَّ الْمُسْرِعَ هُوَ الْفُؤَادُ لَا الْجَسَدُ، فَلَمَّا ذَكَرَ أَفْئِدَةً لِهَذِهِ النُّكْتَةِ حَسُنَ بَيَانُهُ بِأَنَّهُمْ مِنَ النَّاسِ، فَمِنْ بَيَانِيَّةٌ لَا تَبْعِيضِيَّةٌ".

ولما كان لائتلاف اللفظ مع المعنى هذا الأثر البلاغي، استحق أن يسميه الخطابي: عمود البلاغة، يقول: "ثم اعلم أن عمود هذه البلاغة ...هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به"(٢).

---

(١) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، (٨/ ٦١٥).

(٢) بيان إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: "ثلاث رسائل في إعجاز القرآن"، (ص٢٩).

الموضع الثاني: مقام بيان حال الظالمين يوم القيامة.

وذلك في قوله تعالى: ﴿ مُهطِعِينَ مُقنِعِي رُءُوسِهِمۡ لا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡئِدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾ ، "مقنعي رؤوسهم: وُجُوهُ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ إِلَى السَّمَاءِ، لَا يَنْظُرُ أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ ... وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: هَوَاءٌ صُفْرٌ مِنَ الْخَيْرِ خَاوِيَةٌ مِنْهُ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: جَوْفٌ لا عقول لَهُمْ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَابْنُ زَيْدٍ: خَرِبَةٌ خَاوِيَةٌ لَيْسَ فِيهَا خَيْرٌ وَلَا عَقْلٌ. وَقَالَ سُفْيَانُ: خَالِيَةٌ إِلَّا مِنْ فَزَعِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ... وَهَوَاءٌ تَشْبِيهٌ مَحْضٌ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِهَوَاءٍ حَقِيقَةً"[1] والواقع: أن لفظة: ﴿أفئدتهم﴾ في قوله تعالى: ﴿ مُهطِعِينَ مُقنِعِي رُءُوسِهِمۡ لا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡئِدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾ هي الملائمة للمقام؛ فلما كان المقام مقام وعيد للظالمين، كان في تلك اللفظة المؤثرة ما يلائم المقام، فكون الأفئدة التي هي: أوعية القلوب فارغة، أدعى للخوف والفزع، فكأن القلوب غادرت الأفئدة من شدة الخطب وهول يوم الفزع الأكبر.

وفي ذلك ما يؤكد أن لكل معنى نوعًا من اللفظ يأتلف معه، يقول الإمام عبدالقاهر: "اعلم أن لكل نوع من المعنى نوعًا من اللفظ هو به أخص وأولى، وضروبًا من العبارة هو بتأديته أقوم، وهو فيه أجلى، ومأخذًا إذا أخذ منه كان إلى الفهم أقرب، وبالقبول أخلق، وكان السمع له أوعى، والنفس إليه أميل»"[2].

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تح/ صدقي محمد جميل،(٦/ ٤٥١، ٤٥٢)، الناشر دار الفكر – بيروت،١٤٢٠هـ.

(٢) دلائل الإعجاز، (ص٥٧٥) . وينظر: الرسالة الشافية، مطبوع ضمن: "ثلاث رسائل في إعجاز القرآن"، (ص١١٧).

المطلب الرابع:

ائتلاف لفظ: "الأفئدة" مع المعنى في مقام امتنان الله على عباده بخلق وسائل التلقي.

•المقطع الذي أتى فيه اللفظ:

يقول تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[1]

•ائتلاف اللفظ مع مقصد السورة:

يقول الإمام البقاعي: "ومقصودها: الدلالة على أنه تعالى تام القدرة والعلم، فاعل بالاختيار، منزه عن شوائب النقص. وأدل ما فيها على هذا المعنى: أمر النحل، لما ذكر من شأنها في دقة الفهم، في ترتيب بيوتها على شكل التسديس، ترتيبًا لا يصل إليه أكابر المهندسين..."[2].

يولد الإنسان وهو لا يدرك شيئًا من العلوم والمعارف، ومن مظاهر طلاقة قدرة الله ــ تعالى ــ أن جعل له وسائل لتلقي علوم الدين والدنيا، ومن أبرز تلك الوسائل السمع والبصر والفؤاد الذي هو وسيلة للتلقي، وعن طريق تلك الوسائل، يدرك المرء مظاهر طلاقة قدرة الله ــ تعالى ــ ، وإذا كان مقصد سورة النحل ــ كما ذكر الإمام البقاعي ــ "الدلالة على أنه ــ

---

(١) سورة النحل، الآيات: ٧٧:٧٩.

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (٢/ ٢١٣،٢١٤).

تعالى ــ تام القدرة والعلم، فاعل بالاختيار، منزه عن شوائب النقص"[١] فإن الأفئدة من تلك الوسائل التي بها تُدْرَك قدرة الحق ــ سبحان وتعالى ــ.

وللأفئدة أهميتها في ذلك الإدراك، وهي وإن تأخر ذكرها في الترتيب الذكري بعد السمع والأبصار؛ فذلك لعلة استوائها بعد السمع الذي يولد به الإنسان، والأبصار التي تلي السمع، ثم الأفئدة التي تستوي وتتهيأ للقيام بمهمتها بعد ذلك، يقول ابن كثير: "وَهَذِهِ الْقُوَى وَالْحَوَاسُّ تَحْصُلُ لِلْإِنْسَانِ عَلَى التَّدْرِيجِ قَلِيلًا قَلِيلًا، كُلَّمَا كَبِرَ زِيد فِي سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَعَقْلِهِ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ. وَإِنَّمَا جَعَلَ تَعَالَى هَذِهِ فِي الْإِنْسَانِ؛ لِيَتَمَكَّنَ بِهَا مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ ــ تَعَالَى ــ، فَيَسْتَعِينُ بِكُلِّ جَارِحَةٍ وَعُضْوٍ وَقُوَّةٍ عَلَى طَاعَةِ مَوْلَاهُ"[٢].

- **ائتلاف اللفظ مع المعنى**:

المقام مقام بيان قدرة الحق ــ سبحانه وتعالى ــ تلك القدرة التي تستعلي على كل شيء، إنها قدرة قاهرة ظاهرة غالبة مهيمنة طليقة، يقول الله ــ تعالى ــ : ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وأُكدت فاصلة الآية القرآنية بـ﴿إنَّ﴾ التي هي أم الباب في التأكيد؛ لما لها من طاقة توكيدية تمد التركيب بطاقة توكيدية تمحو ما علق بالنفس المتلقية من شك، وهنا تبرز الجملة المؤكَّدة حقيقة ثابتة، ويزداد توكيدها إذا تعقبتها حقيقة كونية منظورة، وهي تلك التي أتت في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٧٩ ﴾

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (٢/ ٢١٣، ٢١٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تح/ سامي بن محمد السلامة، (٤/ ٥٩٠)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية، ١٩٩٩م.

و"عقب قوله: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وأتى بالواو؛ إيذانًا بأن مقدور الله لا نهاية له، والمذكور بعض منها"(١).

والمتأمل: يدرك أن لفظة: ﴿الأفئدة﴾ هي الملائمة لمقامها، فلا يمكن لغيرها من مقارباتها في الدلالة أن تسد مسدها، ولا أن تلائم مقامها؛ لأن الأفئدة: وسيلة تلقي العلوم والمعارف والمهارات، ويؤكد قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ... ﴾ "أَنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ، لَمَّا كَانَتْ فِي أَوَّلِ الْخِلْقَةِ خَالِيَةً عَنِ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ بِاللَّهِ، فَاللَّهُ أَعْطَاهُ هَذِهِ الْحَوَاسَّ؛ لِيَسْتَفِيدَ بِهَا الْمَعَارِفَ وَالْعُلُومَ"(٢).

والفؤاد من خصائصه: أن يتوقد توقدًا معنويًا، بأن يتحرك طالبًا العلم، ناشدًا المعرفة، مكتسبًا المهارات، وهذا التوقد المعنوي مصدره ذلك التوقد الحسي الذي ذكره اللغويون، يقول صاحب كتاب العين: "وسُمِّيَ الفُؤاد؛ لتفَؤُّدِه، أي: لتوقُّده. وفُئِدَ الرجلُ فهو مَفؤود، أي: أصابَه داء في فؤاده، وافتأَدَ القومُ: أَوقَدوا نارًا... وفَأَدْتُ النّارَ: سَجَرْتَ خَشَبَها، والمَفأَدُ: المَسْجَرُ، والمُفتَأَدُ: موضع النارِ في الأرض، وفأَدْتُ لحمًا: شَوَيتُه"(٣). ويقول الرازي: "الْفُؤَادَ إِنَّمَا خُلِقَ لِلْمَعَارِفِ الْحَقِيقِيَّةِ وَالْعُلُومِ الْيَقِينِيَّةِ"(٤).

(١) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، (٩/ ١٧٠).
(٢) مفاتيح الغيب، (٢٠/٢٥٠).
(٣) كتاب العين، (٨/ ٧٩).
(٤) مفاتيح الغيب، (٢٠/ ٢٥١).

ولذلك فما كان للفظة غير لفظة: ﴿الأفئدة﴾ أن تسد مسدها، ولا أن تتبوأ مكانها، فمن سمات الكلام العالي الذي في الذروة منه القرآن الكريم: "أن تكون ألفاظ المعنى المطلوب ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى"(١).

ومما يؤكد على أن ﴿الأفئدة﴾ طريق العلوم والمعارف، قوله تعالى في صدر الآية: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ حيث أكد على أن حال الناس وقت خروجهم من بطون أمهاتهم بقوله سبحانه: ﴿لا تعلمون شيئاً﴾ ثم قال بعدها ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾ مما أكد أن الأفئدة من وسائل العلم؛ لتغيير واقع الناس بعد ما كانوا لا يعلمون شيئًا. وفي قوله سبحانه: ﴿من بطون أمهاتكم﴾ تأكيد على معنى عدم العلم عن طريق الكناية، التي هي قول بدليل، يقول الإمام عبد القاهر :" قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح"(٢) ثم يذكر جانبًا من مزيتها فيقول: " فإن السبب في أن كان للإثبات بها مزية لا تكون للتصريح، أن كل عاقل يعلم – إذا رجع إلى نفسه – أن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذَجًا غُفْلًا، وذلك أنك لا تدَّعي شاهد الصفة ودليلها إلا والأمر ظاهر معروف، وبحيث لا يُشَك فيه، ولا يُظنُّ بالمخبر التجّوز والغلط "(٣).

ولعل مما يستلفت الخاطر، ويثير التساؤل: لم جاء الترتيب الذكري على هذا النسق، السمع والأبصار والأفئدة؟ فالأفئدة أتت في النهاية، وذلك ــ والله أعلم بمراده ــ باعتبار اقتدار الوسيلة على القيام بمَهمتها؛ تحقيقًا

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، (ص١٩٤).

(٢) دلائل الإعجاز، (ص١١٤).

(٣) السابق، (ص١١٦،١١٥).

للجعل الإلهي، فالخارج من بطن أمه يولد فيُجعل له السمع، إذ إنه يتفاعل مع الأصوات، ثم يُجعل له البصر فيُميز المرئيات، ثم يُجعل له الفؤاد فيقتدر على تلقي العلوم والمعارف والمهارات بعد توقد ومعاناة في الطلب. وهكذا أتى الترتيب الذكري يحمل دلالة ترتيب الجعل الإلهي لتلك الوسائل: السمع، الأبصار، الأفئدة.

"والأفئدة في فؤاد، كالأغربة في غراب، وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة"[1] وقد بين الرازي سر مجيء لفظة: ﴿الأفئدة﴾ على صيغة جمع القلة، فقال: " الْفُؤَادَ إِنَّمَا خُلِقَ لِلْمَعَارِفِ الْحَقِيقِيَّةِ وَالْعُلُومِ الْيَقِينِيَّةِ، وَأَكْثَرُ الْخَلْقِ لَيْسُوا كَذَلِكَ، بَلْ يَكُونُونَ مَشْغُولِينَ بِالْأَفْعَالِ الْبَهِيمِيَّةِ وَالصِّفَاتِ السَّبُعِيَّةِ، فَكَأَنَّ فُؤَادَهُمْ لَيْسَ بِفُؤَادٍ، فَلِهَذَا السَّبَبِ ذَكَرَ فِي جَمْعِهِ صِيغَةَ جَمْعِ الْقِلَّةِ"[2].

وأرى ــ والله أعلم ــ: أن مجيء لفظة: ﴿الأفئدة﴾ جمعًا، يلائم المقام؛ إذ يؤكد على أن الناس في تلقي العلوم والمعارف واكتساب المهارات ليسوا سواء، بل إنهم متفاوتون في قدرتهم على التلقي والانتفاع بتلك العلوم والمعارف والمهارات، ولذلك كانت البلاغة المعجزة في مجيء لفظة: ﴿الأفئدة﴾ جمعًا؛ لتلائم صيغة الجمع أحوال الناس وتباينهم في التلقي.

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (٢/ ٦٢٤).

(٢) مفاتيح الغيب، (٢٠/ ٢٥١).

المطلب الخامس:

ائتلاف لفظ: "الفؤاد" مع المعنى في مقام النهي عن الوقوع في الكبائر.

•المقطع الذي أتى فيه اللفظ:

يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾[1].

•ائتلاف اللفظ مع مقصد السورة:

"ومقصودها: الإقبال على الله وحده، وخلع كل ما سواه؛ لأنه وحده المالك لتفاصيل الأمور، وتفضيل بعض الخلق على بعض. وذلك هو العمل بالتقوى، التي أدناها خلع الأنداد، واعتقاد التوحيد. على ما دعا إليه افتتاح النحـــل... أما سبحان – الذي هو علم للتنزيه – فمن أظهر ما يكون فيه؛ لأن من كان على غاية النزاهة عن كل نقص، كان جديرًا بأن: ﴿لا تعبدوا إلا إياه...﴾".[2]

---

(١) سورة الإسراء، الآيات: ٣١:٣٨.

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (٢/٢٣٠، ٢٣١).

إنه لما كان مقصود السورة: "الإقبال على الله وحده، وخلع كل ما سواه؛ لأنه وحده المالك لتفاصيل الأمور"[1] كان الملائم إيثار لفظة: ﴿الفؤاد﴾ على غيرها من مقاربتها في الدلالة؛ لأنه ليس من الإقبال على الله ــ تعالى ــ وخلع ما سواه، أن يستخدم المرء فؤاده الذي هو من وسائل تلقي العلوم والمعارف فيما يتنافى مع الإقبال على الله وخلع ما سواه، يقول الطبري: "قوله: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا﴾ ... معناه: إن الله سائل هذه الأعضاء عما قال صاحبها، من أنه سمع أو أبصر أو علم، تشهد عليه جوارحه عند ذلك بالحقّ".[2]

ففي الآية نهي عن أن يستخدم الإنسان وسائل التلقي ــ والتي منها: الفؤاد ــ بصورة تخالف الإقبال على الله ــ تعالى ــ وحده، فعلى الإنسان أن يخلع كل ما سوى الله وأن يمحض نفسه لله ــ تعالى ــ.

وتتجلى بلاغة إيثار لفظة: ﴿الفؤاد﴾ التي تعنى وسيلة من وسائل العلم والمعرفة، في ملاءمتها للمقصد العام للسورة، إذ لا يليق بالعبد أن يستخدم وسائل العلم في الخوض فيما يغضب الله ــ تعالى ــ، ويتنافى مع الإقبال عليه ــ سبحانه ــ، فعلى العبد أن يخلع كل ما سوى الله ــ تعالى ــ من الأغيار، وأن لا يشغله شاغل عن الإقبال على الله بالطاعة، وكيف للعبد أن يخوض بالسمع والبصر والفؤاد، بعد العلم باطلاع الله ــ تعالى ــ على كل تفاصيل الأمور.

---

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (٢/٢٣٠).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، (١٤/ ٥٩٦)، ط دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط الأولى، ٢٠٠١ م.

وإذا افتتحت السورة بـ﴿سبحان﴾ التي تفيد التنزيه فمن تنزيه الحق ــ سبحانه وتعالى ــ أن ينشغل العبد بالذات القدسية العلية المنزهة عن كل ما سواها من الخوض مع الخائضين، باستخدام وسائل العلم التي منها: الفؤاد في الباطل، إذ الأولى أن ينشغل بالحق المنزه عن كل نقص حاشاه سبحانه.

وإذا كانت السورة تناولت رحلة الإسراء وما فيها من فضل من الله على عبده، فعلى المرء أن يرتقي في مدارج العبودية، ليكون أهلًا لكرم الله ــ تعالى ــ كما كان سيدنا محمدًا عبدًا ربانيًا فأسرى الله بحضرته، وليس من العبودية أن يقفو المرء ليس له به علم، فوسائل تلقي العلم ستُسأل أمام الله والأشهاد.

•ائتلاف اللفظ مع المعنى:

ذكر الإمام الرازي أقول عدة في مقام تلك اللفظة:

الْأَوَّلُ: الْمُرَادُ نَهْيُ الْمُشْرِكِينَ عَنِ الْمَذَاهِبِ الَّتِي كَانُوا يَعْتَقِدُونَهَا فِي الْإِلَهِيَّاتِ وَالنُّبُوَّاتِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِ أَسْلَافِهِمْ. الثَّانِي: الْمُرَاد مِنْهُ شَهَادَةُ الزُّورِ. الثَّالِثُ: الْمُرَادُ مِنْهُ: النَّهْيُ عَنِ الْقَذْفِ وَرَمْيِ الْمُحْصَنِينَ وَالْمُحْصَنَاتِ بِالْأَكَاذِيبِ، وَكَانَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ جَارِيَةً بِذَلِكَ يَذْكُرُونَهَا فِي الْهِجَاءِ وَيُبَالِغُونَ فِيهِ.الرَّابِعُ: الْمُرَادُ مِنْهُ النَّهْيُ عَنِ الْكَذِبِ.الْخَامِسُ: أَنَّ الْقَفْوَ هُوَ الْبُهْتُ وَأَصْلُهُ مِنَ الْقَفَا، كَأَنَّهُ قَوْلٌ يُقَالُ خَلْفَهُ وَهُوَ فِي مَعْنَى الْغِيبَةِ وَهُوَ ذِكْرُ الرَّجُلِ فِي غِيبَتِهِ بِمَا يَسُوءُهُ[1]

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، (٢٠/ ٣٣٩).

وعلى أيٍّ من تلك الأقوال التي ذكرها الرازي، تكون لفظة: "الفؤاد" التي اعتبرها البيان القرآني، هي الملائمة للمقام، ففي خصوصية إيثار لفظة: "الفؤاد" إصابة البلاغة.

فالفؤاد: وسيلة تحصيل العلوم العقلية. وأخالف الإمام الرازي ــ رضي الله عنه ــ فيما ذهب إليه من تفسير الفؤاد بالعقل، إذ يقول: "الْعُلُومَ إِمَّا مُسْتَفَادَةٌ مِنَ الْحَوَاسِّ، أَوْ مِنَ الْعُقُولِ. أَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: فَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِذِكْرِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ... وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي: فَهُوَ الْعُلُومُ الْمُسْتَفَادَةُ مِنَ الْعَقْلِ وَهِيَ قِسْمَانِ: الْبَدِيهِيَّةُ وَالْكَسْبِيَّةُ، وَإِلَى الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ الْإِشَارَةُ بِذِكْرِ الْفُؤَادِ"[1] وذلك؛ لأن الحق سبحانه لو شاء أن يقول :"العقل" لقال ذلك، ولكنه ــ تعالى ــ قال الفؤاد، فلا يُقبل أن يفسر قول الله ــ تعالى ــ بما يخالف مراده ــ سبحانه، والبلاغة لا تقول بالترادف في القرآن الكريم، وقد عرض البحث ذلك في المهاد النظري لهذا البحث.

---

(١) مفاتيح الغيب، (٢٠/ ٣٤١).

المطلب السادس:

ائتلاف لفظ: "الأفئدة" مع المعنى في مقام تبكيت منكري البعث.

•المقطع الذي أتى فيه اللفظ:

يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[1].

•ائتلاف اللفظ مع مقصد السورة:

يقول الإمام البقاعي: "مقصودها: اختصاص المؤمنين بالفلاح. واسمها واضح الدلالة على ذلك"[2].

إنه لما كان مقصد السورة "اختصاص المؤمنين بالفلاح"[3] كان الملائم إيثار النظم القرآني للفظة: ﴿الأفئدة﴾، وأن تقدم على مقارباتها في الدلالة، فالمؤمنون آمنوا؛ لأنهم أعملوا أفئدتهم في تلقي الهدايات الإيمانية، فانتفعوا بنعمة الله ــ تعالى ــ حيث جعل لهم تلك الأفئدة وسيلة لتلقي الهداية، أما

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٧٣: ٨٢.

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (٢/ ٣٠٣).

(٣) السابق، الجزء نفسه، والصفحة نفسها.

الكفار الذين أنكروا البعث والنشور، فلم ينتفعوا بتلك الأفئدة، وآثروا العناد والاستكبار، حتى أتاهم العذاب، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾ (١)

- **ائتلاف اللفظ مع المعنى**:

آثر النظم القرآني لفظة: ﴿الأفئدة﴾، وذلك؛ لمقام دعا لاعتبار خصوصية إيثار تلك اللفظة، وفي بيان ذلك المقام، يقول الإمام الرازي: "اعْلَمْ أَنَّهُ ــ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ــ لَمَّا زَيَّفَ طَرِيقَةَ الْقَوْمِ، أَتْبَعَهُ بِبَيَانِ صِحَّةِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ــ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ فَقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾؛ لِأَنَّ مَا دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى صِحَّتِهِ فَهُوَ فِي بَابِ الِاسْتِقَامَةِ أَبْلَغُ مِنَ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾، أَيْ: لَعَادِلُونَ عَنْ هَذَا الطَّرِيقِ؛ لِأَنَّ طَرِيقَ الِاسْتِقَامَةِ وَاحِدَةٌ وَمَا يُخَالِفُهُ فَكَثِيرٌ"(٢).

ولما كان المقام كما بيَّن الإمام الرازي، كانت البلاغة في إيثار لفظة: ﴿الأفئدة﴾؛ لأن من أنشأ الله ــ تعالى ــ لهم وسائل تلقي الهدايات الإيمانية، من السمع: الذي به يسمعون الدعوة وتراتيل الذكر الحكيم، والأبصار: التي بها ينظرون في خلق السماوات والأرض بل وفي أنفسهم، والأفئدة: التي بها يتلقون أنوار السماء من هدايات تأخذ بأيديهم نحو الصراط المستقيم، الذي يدعوهم إليه سيدنا النبي محمد ــ صلى الله علي وسلم ــ قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾[سورة

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٧٥: ٧٧ .

(٢) مفاتيح الغيب، (٢٣/ ٢٨٧).

المؤمنون]؛ كان من شأن هؤلاء أن ينتفعوا بتلك الوسائل والآلاء التي امتن الله ــ تعالى ــ بها عليهم، ولما كانت الأفئدة من وسائل تلقي تلك الهدايات، كانت تلك اللفظة وحدها هي الملائمة للمقام.

ولما استعملت لفظة: ﴿الأفئدة﴾ بمعنى كونها وسيلة لتلقي الهدايات الإيمانية، كان مقتضى البلاغة أن تأتي اللفظة بصيغة الجمع: ﴿الأفئدة﴾ وذلك؛ لأن الناس في تلقي الهدايات الإيمانية ليسوا سواء، وإنما تتباين مواقف أفئدتهم في تلقي أنوار الإيمان، فمنهم من ينقاد لتلك الأنوار لحظة وصولها له، ومنهم من ينقاد لها بعد حين، ومنهم من قسا فؤاده، وزاد كبره وعناده، فيلج في طغيانه، ويتمادى في عصيانه، فيصر على كفره حتى وإن نزل العذاب بساحته، وحلَّ بدارته. ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾، ولذا تتجلى بلاغة القرآن الكريم في استعمال صيغة الجمع: ﴿الأفئدة﴾.

هذا، وقد آثر بيان القرآن الكريم صيغة جمع القلة: "أَفْعِلَة" فقال: ﴿الأفئدة﴾ رغم أن كل إنسان من الكافرين وغيرهم له فؤاد، وعليه، فالأفئدة كثرة، ولكن لضرب من البلاغة، آثر البيان القرآني اعتبار خصوصية إيثار صيغة جمع القلة: ﴿الأفئدة﴾؛ ليؤكد لنا أن قلة من تلك الأفئدة هي تلك التي تنتفع بهدي السماء، بينما كثرة منها لم تنتفع بهدي السماء. وقد أشار د/ فاضل صالح السامرائي، إلى أنه قد يُعْدَل عن الأصل في استعمال القلة والكثرة، فقال ــ بعد عرض استعمالات جموع الكثرة والقلة ــ : "هذا هو الأصل في استعمال القلة والكثرة، وقد يُعْدَل عن ذلك؛ لضرب من البلاغة، فقد تعطي القلة وزن الكثرة، والكثرة وزن القلة؛ لغرض ما"(١).

(١) معاني الأبنية في العربية، د/ فاضل صالح السامرائي، صـ١٢١، ط دار عمار للنشر والتوزيع ــ الأردن، ط الثانية، ٢٠٠٧م.

المطلب السابع:

ائتلاف لفظ: "فؤادك" مع المعنى في مقام بيان حكمة نزول القرآن منجماً.

•المقطع الذي أتى فيه اللفظ:

يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ ﴾[1].

•ائتلاف اللفظ مع مقصد السورة:

يقول الإمام البقاعي: "ومقصودها: إظهار شرف الداعي – صلى الله عليه وسلم – بإنذار المكلفين عامة بما له سبحانه من القدرة الشاملة، المستلزم للعلم التام، المدلول عليه بهذا القرآن المبين، المستلزم لأنه لا موجود على الحقيقة سوى من أنزله فهو الحق، وما سواه باطل. وتسميتها بالفرقان، واضح الدلالة على ذلك، فإن الكتاب ما نزل إلا للتفرقة بين الملتبسات، وتمييز الحق من الباطل؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، فلا يكون لأحد على الله حجة، ولله الحجة البالغة"[2].

وقد آثر بيان النظم القرآني لفظة: ﴿فؤادك﴾ على غيرها من تلك الألفاظ التي تقاربها في الدلالة، وفي اصطفاء القرآن الكريم ما يلائم المقصد العام لسورة: الفرقان، فإذا كان مقصودها العام: يدور حول شرف النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وإنذار المكلفين، بما لله ــ تعالى ــ من شمول

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٣٠: ٣٤ .

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (٢/ ٣١٧).

القدرة وكمال العلم، وكون الفرقان المبين دالًا على ذلك، ــ كما ذكر البقاعي ــ فإن ذلك يناسبه استعمال لفظة: ﴿فؤادك﴾ فشرف النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومكانته عند الحق ــ سبحانه ــ جعلته ــ صلى الله عليه وسلم ــ موضع عناية الحق بتثبيت فؤاد نبيه، بإنزال القرآن الكريم عليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ منجمًا، وفي تثبيت الفؤاد الذي هو محل تلقي العلوم والمعارف الإلهية تشريف للنبي، كما أن قصد السورة: إنذار المكلفين بما للحق ــ سبحانه ــ من قدرة شاملة وعلم تام ــ كما ذكر البقاعي ــ مؤتلف مع لفظة: ﴿فؤادك﴾؛ لأن في قدرة الله ــ تعالى ــ الشاملة وعلمه التام، تؤكد تثبيت فؤاده ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

- **ائتلاف اللفظ مع المعنى**:

في بيان مقام هذا النظم القرآني، يقول ابن عاشور: "﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَرَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا﴾. عَوْدٌ إِلَى مَعَاذِيرِهِمْ وَتَعَلُّلَاتِهِمُ الْفَاسِدَةِ، إِذْ طَعَنُوا فِي الْقُرْآنِ بِأَنَّهُ نُزِّلَ مُنَجَّمًا، وَقَالُوا: لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَنَزَلَ كِتَابًا جُمْلَةً وَاحِدَةً"(١).

لقد اصطفى بيان القرآن الكريم لفظة: ﴿فؤادك﴾ وآثرها على مقارباتها في الدلالة؛ وذلك لما لها صبغ دلالي ليس لسواها. فالمشركون يعترضون على نزول القرآن الكريم منجمًا تبعًا للمواقف ووفقًا لإرادة الحق جل جلاله، والله ــ تعالى ــ يبين لنا السر وراء نزول القرآن الكريم منجمًا، بأن ذلك؛ لتثبيت فؤاد النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ، والتثبيت للفؤاد؛ لأنه محل التوقد بالمعارف والعلوم والتجليات العرفانية، التي تتنزل على الفؤاد النبوي الشريف. "وَالتَّثْبِيتُ: جَعْلُ الشَّيْءِ ثَابِتًا. وَالثَّبَاتُ: اسْتِقْرَارُ الشَّيْءِ فِي مَكَانِهِ

(١) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٩/ ١٨).

غَيْرَ مُتَزَلْزِلٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ [إِبْرَاهِيم: ٢٤]. وَيُسْتَعَارُ الثَّبَاتُ لِلْيَقِينِ وَلِلِاطْمِئْنَانِ بِحُصُولِ الْخَيْرِ لِصَاحِبِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النِّسَاء: ٦٦]، وَهِيَ اسْتِعَارَاتٌ شَائِعَةٌ مَبْنِيَّةٌ عَلَى تَشْبِيهِ حُصُولِ الِاحْتِمَالَاتِ فِي النَّفْسِ بِاضْطِرَابِ الشَّيْءِ فِي الْمَكَانِ تَشْبِيهَ مَعْقُولٍ بِمَحْسُوسٍ"(١).

وفي تثبيت الفؤاد النبوي الشريف معنى التقوية؛ وذلك لتحمل ما يتعرض له النبي الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ من إيذاء وعنت، وكون التقوية للفؤاد يجعلها أمكن؛ فالفؤاد وعاء القلب وغلافه، ولما تكون التقوية للفؤاد يكون القلب داخلًا فيها، آخذًا بالنصيب الأوفر منها، يقول الزمخشري: "أنزل مفرّقا، والحكمة فيه: أن نقوّي بتفريقه فؤادك؛ حتى تعيه وتحفظه؛ لأنَّ المتلقن إنما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئًا بعد شيء، وجزأ عقيب جزء... وَرَتَّلْنَاهُ معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك، كأنه قال: كذلك فرقناه ورتلناه. ومعنى ترتيله:... وأمرنا بترتيل قراءته، وذلك قوله: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾، أي: اقرأه بترسل وتثبت"(٢).

والمتأمل لمقام النظم الحكيم وسياقه ومعناه، يدرك أن لفظة: ﴿فؤادك﴾ هي الملائمة وحدها، مما يؤكد أن: "خصوصية الانتقاء القرآني، تدعونا إلى الإقرار بتفرّد كلّ كلمة بمعناها الخاصّ، مستندِين إلى السياق القرآني، فإذا كان الترادف موجودًا في اللغة، فهو بعيد عن تهذيب القرآن اللغوي، وتمكّن مفرداته من معانيها وظلالها الخاصّة"(٣).

---

(١) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٩/ ١٩).
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (٣/ ٢٧٨).
(٣) جماليات المفردة القرآنية، (ص٧٤).

المطلب الثامن:

ائتلاف لفظ: "فؤاد" مع المعنى في مقام خوف أم موسى على ولدها.

•المقطع الذي أتى فيه اللفظ:

يقول تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾[1].

•ائتلاف اللفظ مع مقصد السورة:

يقول الإمام البقاعي: "ومقصودها: التواضع لله، المستلزم لرد الأمر كله إليه، الناشئ عن الإيمان بالآخرة، الناشئ عن الإيمان بنبوة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ الثابتة بإعجاز القرآن، المظهر للخفايا، على لسان من لم يتعلم قط من أحد من الخلق، المنتج لعلو المتصف به. وذلك هو المأخوذ من تسميتها بالقصص"[2].

ولا شك أن لفظة: "فؤاد" في قوله تعالى: ﴿وَأَصبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾[3] تأتلف مع مقصد السورة الكريمة، ففؤاد أم موسى الذي أصبح في

---

(١) سورة القصص، الآيات: ٧ : ١١ .

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (٢/ ٣٣٨).

(٣) سورة القصص، جزء من الآية: ١٠.

وقت الصباح ــ الذي هو محل لتضاعف الهم والجزع ــ فارغًا من الهم والجزع؛ يلائم مقصد السورة، وما فيه من لتواضع لله، المستلزم لرد الأمر كله إليه، الناشئ عن الإيمان بالآخرة، الناشئ عن الإيمان بنبوة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ الثابتة بإعجاز القرآن ــ كما ذكر البقاعي ــ فالفؤاد صار فارغًا من حبته وهي: القلب، والقلب صار فارغًا من الهم والجزع، وفي ذلك ما يؤكد أن لفظة: ﴿فؤاد﴾ هي وحدها التي تأتلف مع مقصد السورة، وما كان لمقارباتها من مثل: "القلب والصدر" أن تؤديا مؤداها، ولا أن تأتلفا مع مقصد السورة.

- **ائتلاف اللفظ مع المعنى**:

روي في بيان مقام هذا النظم الحكيم: أن ملأ فرعون أشاروا عليه: أن يقتل كل مولود ذكرًا من بني إسرائيل عامًا وأن يتركهم عامًا؛ وذلك خوفًا على مُلكه، فحملت أمّ موسى بهارون في العام المقبل الذي لا يذبح فيه الغِلمان، فولدته علانية آمنة، حتى إذا كان العام المقبل حملت بموسى، فوقع في قلبها الهمّ والحزن، فأوحى الله إليها: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[1] وأمرها إذا ولدته أن تجعله في تابوت، ثم تلقيه في اليم، فلما ولدته فعلت ما أُمرت به، حتى إذا توارى عنها ابنها أتاها إبليس، فقالت في نفسها: ما صنعت بابني؟! لو ذبح عندي، فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن ألقيه بيدي إلى حيتان البحر ودورانه.[2]وقد وصف القرآن الكريم

(١) سورة القصص، جزء من الآية: ٧ .

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (١٦/ ٦٤).

حالها، في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[١].

وقد اصطفى بيان القرآن الكريم لفظة: ﴿فؤاد﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[٢]؛ على مقارباتها في الدلالة كلفظة: "القلب"، والتي استعملها بيان القرآن في الآية نفسها لمعنى آخر غير الذي استعملت له لفظة: ﴿فؤاد﴾.

هذا، وقد أتت لفظة: ﴿فؤاد﴾ مؤتلفة مع المعنى الذي استعملت له؛ لأن لفظة: ﴿الفؤاد﴾ تعني: "وِعاءُ القَلْبِ... أَو غِشاؤُه، والقَلْبُ حَبَّتُه"[٣].

ولا شك أن فراغ الفؤاد مجازي، يقول ابن عاشور: "وَالْفَرَاغُ مَجَازِيٌّ. وَمَعْنَى فَرَاغِ الْعَقْلِ مِنْ أَمْرٍ أَنَّهُ مَجَازٌ عَنْ عَدَمِ احْتِوَاءِ الْعَقْلِ عَلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ احْتِوَاءً مَجَازِيًّا، أَيْ: عَدَمِ جَوَلَانِ مَعْنَى ذَلِكَ الْأَمْرِ فِي الْعَقْلِ، أَيْ: تَرْكِ التَّفْكِيرِ فِيهِ"[٤].

وفي فراغ الفؤاد الذي يضم القلب، ما يعطي معنى الطمأنينة والثقة في الله ــ تعالى ــ وعدم وجود القلب أصلًا، والذي هو محل الهم والقلق على موسى ــ عليه السلام ــ.

---

(١) سورة القصص، الآية: ١٠.

(٢) سورة القصص، الآية: ١٠.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، (٨/ ٤٧٧).

(٤) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (٢٠/ ٨٠).

وقد يُفسر قوله ــ تعالى ــ : ﴿وَأَصبَحَ فُـؤَادُ أُمِّ مُوسَـىٰ فَٰرِغًـا﴾[1] بفراغ فؤاد أم موسى من الفزع والهلع على وليدها، وفي ذلك ما يصور عاطفة الأم، وما يتدفق به عطاؤها من تحدُّر بالحَدَب والحُنُو، فعلى الرغم من الوحي الذي نزل على قلبها مطمئنًا لها ومبشرًا إياها بنجاة وليدها، قال تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧﴾[2]؛ إلا أن طبيعتها البشرية أتت على فؤادها فانتزعت حبته[3] فجعلته بلا قلب، لولا أن عناية السماء لاحظتها فربط الله على قلبها؛ لتكون من المؤمنين، قال تعالى: ﴿لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠﴾[4].

وقد عرض الزمخشري الاتجاهين في فهم مراد الله ــ تعالى ــ، فقال: ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠﴾[5]...، فارِغًا صفرًا من العقل. والمعنى: أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها؛ لما دهمها من فرط الجزع والدَّهَش[6].

---

(١) سورة القصص، جزء من الآية: ١٠.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧.

(٣) "الفؤاد" تعني: "وِعاءُ القَلْبِ... أَو غِشاؤُه، والقَلْبُ حَبَّتُه"، تاج العروس من جواهر القاموس، (٨/ ٤٧٧).

(٤) سورة القصص، جزء من الآية: ١٠.

(٥) سورة القصص، الآية: ١٠ .

(٦) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (٣/ ٣٩٥).

المطلب التاسع:

ائتلاف لفظ: "الأفئدة" مع المعنى في مقام ذكر أطوار خلق الإنسان.

- **المقطع الذي أتى فيه اللفظ:**

يقول تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝٣ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٖۢۚ بَلۡ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ۝١١﴾[1].

- **ائتلاف اللفظ مع مقصد السورة:**

يقول الإمام البقاعي: "ومقصودها: إنذار الكفار بهذا الكتاب، السّارِّ للأبرار بدخول الجنة والنجاة من النار، واسمها: "السجدة" منطبق على ذلك بما دعت إليه آيتها من الأخبار، وترك الاستكبار"[2].

وقد اصطفى بيان القرآن الكريم لفظة: ﴿الأفئدة﴾ على غيرها من مقارباتها في الدلالة، وفي ذلك ما يأتلف مع المقصد العام للسورة؛ لأن

---

(١) سورة السجدة، الآيات: ١ :١١.

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (٢/ ٣٦١).

الكفار الذين تنذرهم السورة لو أعملوا أفئدتهم، والتي هي وسائل تلقي العلوم والهدايات والمعارف؛ لما استمروا في كفرهم، ولسجدوا لربهم؛ تسليمًا لعظمته، وإيمانًا بقدرته، وشكرًا على مننه التي لا تحصى.

وبهذا، تكون لفظة: ﴿الأفئدة﴾ وحدها هي تلك التي تلائم المقصد العام لسورة السجدة، وما كان لغيرها أن تسد مسدها، ولا أن تؤدي مؤداها.

- **ائتلاف اللفظ مع المعنى**:

إن لفظة: ﴿الأفئدة﴾ التي آثرها النظم القرآني هنا، أتت مؤتلفة مع المقام، والمعنى.

أما عن ائتلافها مع المقام: فقد أتت في مقام امتنان الحق ــ سبحانه وتعالى ــ على عباده، يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: ثم سوّى الإنسانَ الذي بدأ خلقَه من طين خلقًا سويًا معتدلًا ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ فصار حيًا ناطقًا ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ﴾ يقول: وأنعم عليكم أيها الناس ربُكم بأن أعطاكم السمع تسمعون به الأصوات، والأبصار تبصرون بها الأشخاص، والأفئدة تعقلون بها الخير من السوء؛ لتشكروه على ما وهب لكم من ذلك. وقوله: ﴿قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ﴾ يقول: وأنتم تشكرون قليلًا من الشكر ربكم على ما أنعم عليكم"(١).

ومن أجل النعم التي تستوجب الشكر، تلك الأفئدة التي تتوقد بالفهم والاستيعاب؛ لتتلقى أنوار الهدايات السماوية، والعلوم العرفانية؛ لذا كان من كمال البلاغة القرآنية: أن تأتي لفظة: ﴿الأفئدة﴾ جمعًا لا مفردة، وذلك للدلالة على تعدد مواقف متلقي الهدايات، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد،

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (١٨/ ٦٠١).

ومنهم سابق بالخيرات، ولا شك أن في صيغة الجمع ما يعكس تلك المواقف المتباينة.

ولما كان المعنى على امتنان الحق ــ سبحانه وتعالى ــ على عباده بأن سواهم، ونفخ فيهم من روحه، وجعل لهم وسائل تلقي العلوم والمعارف والهدايات الإلهية؛ كان الملائم للمعنى أن يصطفي النظم القرآني لفظة: ﴿الأفئدة﴾؛ فهي آلة تلقي العلوم والمعارف والهدايات الإلهية، فـ" الْفُؤَادَ: يَشْمَلُ الْحَوَاسَّ الْبَاطِنَةَ كُلَّهَا وَالْعَقْلُ بَعْضٌ مِنْهَا"(١).

كما أن الأفئدة تتوقد بالرغبة في التلقي والطلب، فمادة: "فأد" تدور حول معنى: التوقد؛ لذلك كانت لفظة: ﴿الأفئدة﴾ وحدها هي المؤتلفة مع المعنى، وما كان للفظة سواها أن تؤدي المراد.

هذا، و"التَّرْتِيبُ فِي السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْئِدَةِ عَلَى مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ؛ وَذَلِكَ لأن الإنسان يسمع أَوَّلًا مِنَ الْأَبَوَيْنِ أَوِ النَّاسِ أُمُورًا فَيَفْهَمُهَا، ثُمَّ يَحْصُلُ لَهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ بَصِيرَةٌ فَيُبْصِرُ الأمور ويجريها، ثُمَّ يَحْصُلُ لَهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ إِدْرَاكٌ تَامٌّ وَذِهْنٌ كَامِلٌ فَيَسْتَخْرِجُ الْأَشْيَاءَ مِنْ قِبَلِهِ"(٢).

---

(١) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (٢١/ ٢١٧).

(٢) مفاتيح الغيب، (٢٥/ ١٤١).

المطلب العاشر:

ائتلاف لفظ: "أفئدة"،"أفئدتهم" مع المعنى في مقام التذكير بما كان من عاد من ترك الانتفاع بوسائل تلقي الهدايات.

•المقطع الذي أتى فيه اللفظ:

يقول تعالى: ﴿ ۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٢١ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٣ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٥ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٢٦ ﴾ (١).

•ائتلاف اللفظ مع مقصد السورة:

يقول الإمام البقاعي: "ومقصودها: إنذار الكافرين بالدلالة على صدق الوعد في قيام الساعة، اللازم للعزة والحكمة الكاشف لها أتم كشف، بما وقع الصدق في الوعد به من إهلاك المكذبين، وأنه لا يمنع من شيء من ذلك مانع؛ لأنه لا شريك له، فهو المستحق للإفراد العبادة. وعلى ذلك دلت تسميتها بالأحقاف، بما دلت عليه قصة قوم هود – عليه السلام – من التوحيد وإنذارهم بالعذاب دنيا وأخرى، ومن إهلاكهم، وعدم إغناء ما عبدوه عنهم، ودفنهم تحت أحقافهم"(٢).

---

(١) سورة الأحقاف، الآيات: ٢١ :٢٦.

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (٢/ ٤٨٠).

•ائتلاف اللفظ مع المعنى:

استعمل النظم القرآني هنا لفظتي: ﴿أفئدة﴾ و﴿أفئدتهم﴾، وقد أتت اللفظتان مؤتلفتان مع المقام والمعنى. فالمقام مقام تذكير بما كان من قوم هود ــ عليه السلام ــ من عناد، دفعهم إلى عدم الانتفاع بما أعطاهم الله ــ تعالى ــ من وسائل تلقي المعارف الربانية والهدايات الإلهية، من السمع والأبصار والأفئدة، يقول الطبري في مقام هذا النظم القرآني: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ــ: واذكر يا محمد لقومك الرّادّين عليك ما جئتهم به من الحقّ هودًا أخا عاد، فإن الله بعثك إليهم كالذي بعثه إلى عاد، فخوّفهم أن يحلّ بهم من نقمة الله على كفرهم ما حلّ بهم إذ كذّبوا رسولنا هودًا إليهم، إذ أنذر قومه عادا بالأحقاف"(١).

كما أن لفظتي: ﴿أفئدة﴾ و﴿أفئدتهم﴾، مؤتلفتان مع المعنى؛ لأنه لما كانت الأفئدة هي التي تتوقد بطلب العلم والمعرفة والهداية، وكان المعنى على عدم انتفاع قوم هود ــ عليه السلام ــ بوسائل تلقي الهدايات؛ كانت لفظتا: ﴿أفئدة﴾ و﴿أفئدتهم﴾، مؤتلفتين مع المعنى، دون غيرها من مقارباتهما في الدلالة كـ"القلب" و"الصدر" ــ مثلًا ــ.يقول الرازي:"وَالْمَعْنَى: أَنَّا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ النِّعَمِ وَأَعْطَيْنَاهُمْ سَمْعًا فَمَا اسْتَعْمَلُوهُ فِي سَمَاعِ الدَّلَائِلِ، وَأَعْطَيْنَاهُمْ أَبْصَارًا فَمَا اسْتَعْمَلُوهَا فِي تَأَمُّلِ الْعِبَرِ، وَأَعْطَيْنَاهُمْ أَفْئِدَةً فَمَا اسْتَعْمَلُوهَا فِي طَلَبِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ ــ تَعَالَى ــ، بَلْ صَرَفُوا كُلَّ هَذِهِ الْقُوَى إِلَى طَلَبِ الدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا، فَلَا جَرَمَ مَا أَغْنَى سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٢١/ ١٥٠).

مِنْ عَذَابِ اللَّهِ شَيْئًا. ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّهُ إِنَّمَا لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ؛ لِأَجْلِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ"(١).

وفي ذكر وسائل تلقي العلوم والمعارف والهدايات ما يقيم الحجج على هؤلاء القوم ومن سار مسيرتهم، فوجود الوسائل مع عدم الانتفاع بها، حجة عليهم، يقول ابن عاشور: "وَفَائِدَةُ قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾ أَنَّهُمْ لَمْ يَنْقُصْهُمْ شَيْءٌ مِنْ شَأْنِه أَن يُخِلَّ بِإِدْرَاكِهِمُ الْحَقَّ لَوْلَا الْعِنَادُ"(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب، (٢٨/ ٢٦).

(٢) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (٢٦/ ٥٣).

المطلب الحادي عشر:

ائتلاف لفظ: "الفؤاد" مع المعنى في مقام ذكر رحلة المعراج.

•المقطع الذي أتى فيه اللفظ:

يقول تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ۝١٨﴾[1]

•ائتلاف اللفظ مع مقصد السورة:

"ومقصودها: ذم الهوى؛ لإنتاجه الضلال، بالإخلاد إلى الدنيا، التي هي دار الكدر والبلاء والتصرم والفناء. ومدح العلم؛ لإثماره الهدى، في الإقبال على الأخرى؛ لأنها دار البقاء، في السعادة أو الشقاء. والحث على اتباع النبي – صلى الله عليه وسلم – في نذارته التي بينتها (ق)، وصدقتها (الذاريات) وأوقعتها (الطور). كما يتبع في بشارته؛ لأن علمه هو العلم، لأنه لا ينطق عن الهوى، لا في صريح كتابه، ولا في بيانه له؛ لأن الكل عن الله الذي له صفات الكمال، فلا بد من بعث الخلق إليه، وحشرهم لديه؛ لتظهر حكمته غاية الظهور، فيرفع أهل التزكي والطهور، ويضع أهل التدسِّي والفجور، ويفضح كل متحلٍّ بالزور، منتحلٍ للشرور. وعلى ذلك دل اسمها "النجم"، لمن تأمل القسم والجواب، وما نظم به من نجوم الكتاب"[2].

---

(١) سورة النجم، الآيات: ١ :١٨.

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (٣/ ٣٥).

إن المتدبر:يدرك أن وراء اصطفاء البيان القرآني للفظة:﴿الفؤاد﴾ سر بلاغي؛ فاللفظة تأتلف مع المقصد العام للسورة؛ لأنه لما كان مقصدها: "ذم الهوى؛لإنتاجه الضلال،بالإخلاد إلى الدنيا، التي هي دار الكدر والبلاء والتصرم والفناء.ومدح العلم؛ لإثماره الهدى، في الإقبال على الأخرى؛ لأنها دار البقاء، في السعادة أو الشقاء"(١)؛كان في اللفظ المستعمل ما يلائم هذا المقصد؛ لأن الفؤاد هو وسيلة تلقي الهدايات الربانية والمعارف الإلهية التي بها يذم الإنسان الهوى، الذي يؤدي إلى الضلال، بالركون إلى الدنيا وملذاتها، وبالفؤاد يدرك المرء العلم الديني، الذي يثمر الاهتداء، ويجعل صاحبه يقبل على الآخرة، باعتبارها دار البقاء. يقول الرازي: "الْقَلْبُ مَقَرُّ الْإِيمَانِ"(٢).

وبهذا، تكون لفظة: ﴿الفؤاد﴾ هي وحدها الملائمة لمقصد السورة، وما كان لمقارباتها في الدلالة أن تسد مسدها، وأن توضع مكانها.

- **ائتلاف اللفظ مع المعنى**:

يقول الطاهر بن عاشور: "﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ. أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ الْأَظْهَرُ: أَنَّ هَذَا رَدٌّ لِتَكْذِيبٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِيمَا بَلَغَهُمْ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ رُؤْيَةِ النَّبِيءِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ الْمَلَكَ جِبْرِيلَ وَهُوَ الَّذِي يُؤْذِنُ بِهِ قَوْلُهُ بَعْدَ: أَفَتُمارُونَهُ عَلى مَا يَرى"(٣).

وفي إيثار النظم القرآني للفظة: ﴿الفؤاد﴾ ما يلائم المقام؛ فالمشركون المكذبون لرؤية النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ الملكَ جبريل، رد القرآن على تكذيبهم، بأن الفؤاد: وهو وسيلة تلقي العلم والمعرفة، ما كذب الذي رآه محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ببصره، فكيف تكذبون؟! إن البصر يمد

(١) السابق، الجزء نفسه، والصفحة نفسها.
(٢) مفاتيح الغيب، (٢٢/ ٤١).
(٣) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (٢٧/ ٩٨).

الفؤاد بالصور البصرية، فتحصل المعرفة ويتحقق العلم في الفؤاد، والفؤاد ما كذب الذي رأته العين، أما أنتم فكذبتم على الرغم من أن العين النبوية الشريفة لا تنقل إليكم الصور البصرية التي تلوح لها، فكيف تكذبون. وهكذا يتأكد للمتدبر: أن لفظة: ﴿الفؤاد﴾ وحدها هي التي تأتلف مع المعنى وتعانقه وفاءً بالمراد.

وذكر الطبري: أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ رأى الله ــ تعالى ــ بفؤاده، يقول: "واختلف أهل التأويل في الذي رآه فؤاده فلم يكذبه، فقال بعضهم: الذي رآه فؤاده رب العالمين، وقالوا جعل بصره في فؤاده، فرآه بفؤاده، ولم يره بعينه"(١).

وعلى هذا التفسير: تكون لفظة: ﴿الفؤاد﴾ هي وحدها الملائمة للمعنى؛ فالفؤاد هو وسيلة تلقي المعارف العرفانية والعلوم الروحية، يقول الرازي: "وَالْفُؤَادُ مَقَرُّ الْمَعْرِفَةِ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النَّجْمِ: ١١]"(٢).

ولعل مما يؤكد ذلك، الدلالة اللغوية للفظة: ﴿الفؤاد﴾، يقول صاحب كتاب العين: "وسُمِّيَ الفُؤاد؛ لتفَؤُّدِهِ، أي: لتوقُّده. وفُئِدَ الرجلُ فهو مَفؤود، أي: أصابَه داء في فؤاده، وافتأَدَ القومُ: أَوقَدوا نارًا... وفَأَدْتُ النّارَ: سَجَرْت خَشَبَها، والمَفْأَدُ: المَسْجَرُ، والمُفتَأَدُ: موضع النارِ في الأرض، وفأَدْتُ لحمًا: شَوَيتُه"(٣). فمعنى التوقد والتأجج في لفظة: ﴿الفؤاد﴾، مما جعلها هي الملائمة للمعنى وما فيه من قدسية وعالم روحي أثيث حافل بما اعترى الذات المحمدية الشريفة في هذا اللقاء القدسي على بساط الأنس الرباني، في ساحة الحق جل جلاله.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٢٢/ ٢٢).
(٢) مفاتيح الغيب، (٢٢/ ٤١).
(٣) كتاب العين، (٨/ ٧٩).

المطلب الثاني عشر:

ائتلاف لفظ: "الأفئدة" مع المعنى في مقام ذكر اتصاف الله ـ تعالى ـ بتمام الملك والقدرة والعلم.

•المقطع الذي أتى فيه اللفظ:

يقول تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[1].

•ائتلاف اللفظ مع مقصد السورة:

يقول البقاعي: "ومقصودها: الخضوع لله؛ لاتصافه بكمال الملك، الدال عليه تمام القدرة، الدال عليه قطعًا إحكام المكونات، الدال عليه تمام العلم، الدال عليه مع إحكام المصنوعات، علم ما في الصدور، لينتج ذلك العلم بتحتم البعث لدينونة العباد على ما هم عليه من الصلاح والفساد كما هي عادة الملوك، لتكمل الحكمة، وتتم النعمة. واسمها "الملك" واضح في ذلك؛ لأن المُلك محل الخضوع، من كل ما يرى الملك. وكذا "تبارك"؛ لأن من كان كذلك، كان له تمام الثبات والبقاء"[2].

لقد آثر بيان القرآن الكريم لفظة: ﴿الأفئدة﴾ على ما يقاربها في الدلالة، وفي هذا الإيثار وجه من وجوه البلاغة، حيث إن لفظة: ﴿الأفئدة﴾ تأتلف مع المقصد العام لسورة: "الملك"؛ لأنه لما كانت الأفئدة وسيلة لتلقي

---

(١) سورة الملك، الآيات: ٢٢ : ٢٦.

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (١٠٣/٣).

الهدايات الإلهية، بل والنظر بعين البصيرة فيما يصل للمرء من السمع والأبصار من صور سمعية وبصرية، كانت تلك الأفئدة بطبيعتها سبيلًا للخضوع لله ــ تعالى ــ فهو الأحق بذلك الخضوع؛ لاتصافه بكمال الملك الدال عليه كمال القدرة، الدال عليه قطعًا إحكام المكونات، الدال عليه تمام العلم، الدال عليه مع إحكام المصنوعات، علم ما في الصدور، لينتج ذلك العلم بتحتم البعث لدينونة العباد على ما هم عليه من الصلاح والفساد كما هي عادة الملوك، لتكمل الحكمة، وتتم النعمة(١).

وبهذا، تكون لفظة: ﴿الأفئدة﴾ هي الملائمة لمقصد السورة، ولو أتت لفظة أخرى من تلك التي تقارب لفظة: "الأفئدة" في الدلالة لما كان لها هذا الائتلاف الذي يلوح للمتأمل بين اللفظة ومقصد السورة.

- **ائتلاف اللفظ مع المعنى**:

اصطفى بيان القرآن الكريم لفظة: ﴿الأفئدة﴾ في مقام مثل ضربه للمؤمن والكافر، والطائع والعاصي، يقول أبو السعود: "﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا على وَجْهِهِ أهدى﴾ الخ، مثلٌ ضُرِبَ للمشركِ والموحدِ؛ توضيحًا لحالهما وتحقيقًا لشأن مذهبهم، والفاءُ؛ لترتيبِ ذلكَ على ما ظهرَ من سوءِ حالِهم وخرورِهِم في مهاوِي الغرورِ، وركوبِهم متنَ عشواءِ العتوِّ والنفورِ، وعدمِ اهتدائِهم في مسلكِ المُحاجَّةِ إلى جهةٍ يتوهمُ فيها رشدٌ في الجملةِ... والمُكِبُّ الساقطُ على وجهِهِ، يقالُ: أكبَّ: خرَّ على وجهِهِ، وحقيقتُه: صار ذا كبٍ ودخلَ في الكبِّ، كأقشعَ الغمام، أي: صار ذا قشع، والمَعْنَى: أفمنْ يمشِي وهو يعثرُ في كلِّ ساعةٍ ويخرُّ على وجهِهِ في كلِّ خُطوةٍ؛ لتوعرِ طريقِه واختلالِ قُواه، أهدَى إلى المقصد الذي يؤمه، ﴿أم من يَمْشِى سَوِيًّا﴾ أي:

(١) ينظر:السابق، الجزء نفسه، والصفحة نفسها.

قائمًا سالمًا من الخبطِ والعثارِ ﴿على صراط مُّسْتَقِيمٍ﴾ مستوِي الأجزاءِ لا عِوَجَ فيهِ ولا انحرافَ"(١).

ثم أتى التوجيه من الله ــ تعالى ــ لنبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ قل لهؤلاء يامحمد: إن الله ــ تعالى ــ وحده الذي بيده الملك كله، هو الذي أنشأكم وركب فيكم منذ إنشائكم وسائل تلقي الهدايات السماوية، التي من شأنها أن تدلكم على وجوده ــ سبحانه وتعالى ــ وعلى عبادته وطاعته والالتزام بمنهجه؛ لتسيروا أسوياء على الصراط المستقيم، ولكنكم لم تفيدوا من وسائل تلقي الهدايات التي أنشأكم الله ــ تعالى ــ وركبها فيكم، فشطّ بكم المسير، وكنتم كمن يمشي مكبًا على وجهه يسير في طريق وعرة، وقد فقد القوة والإرادة والرشاد. يقول أبو السعود: "﴿قُلْ هُوَ الذى أَنشَأَكُمْ﴾ إنشاءً بديعًا، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السمع﴾ لتسمعُوا آياتِ الله وتمتثلُوا بما فيهَا من الأوامرِ والنواهِي وتتعظُوا بمواعظِهَا، ﴿والأبصار﴾ لتنظرُوا بها إلى الآياتِ التكوينيةِ الشاهدةِ بشؤون الله ــ عزَّ وجلَ ــ، ﴿والأفئدة﴾ لتتفكَّروا بهَا فيمَا تسمعونَهُ وتشاهدونَهُ من الآياتِ التنزيليةِ والتكوينيةِ وترتقُوا في معارجِ الإيمانِ والطاعةِ، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: باستعمالِهَا فيما خُلقتْ لأجله من الأمورِ المذكورةِ وقليلًا... أيُ: شكرًا قليلًا، أو زمانًا قليلًا تشكرونَ، وقيلَ: القِلةُ عبارةٌ عن العدمِ"(٢).

وبهذا تكون لفظة: ﴿الأفئدة﴾ هي المؤتلفة مع المعنى، وما كان لغيرها من مقارباتها في الدلالة أن تسد مسدها؛ فللفظة المستعملة من الخصوصية الدلالية ما يأتلف مع المعنى، بل ويلائم المقام.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٩/ ٩).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٩/ ٩).

المطلب الثالث عشر:

ائتلاف لفظ: "الأفئدة" مع المعنى في مقام ذكر عذاب الهماز اللماز.

•المقطع الذي أتى فيه اللفظ:

يقول تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾[١]

•ائتلاف اللفظ مع مقصد السورة:

يقول البقاعي: "ومقصودها: بيان الحزب الأكثر الخاسر، الذي ألهاه التكاثر، فبانت خسارته يوم القيامة، الخافضة، الرافعة. واسمها: "الهمزة" ظاهر الدلالة على ذلك"[٢].

اصطفى بيان القرآن الكريم لنظم سورة الهمزة لفظة: ﴿الأفئدة﴾، وآثرها على ما يقترب منها دلاليًا، وقد أتت اللفظة ملائمة لمقصد السورة، فإذا كان مقصد السورة: " بيان الحزب الأكثر الخاسر، الذي ألهاه التكاثر، فبانت خسارته يوم القيامة، الخافضة، الرافعة. واسمها: "الهمزة" ظاهر الدلالة على ذلك"[٣]؛ فاللفظة تلائم هذا المقصد؛ حيث إن هؤلاء الهمزة اللمزة لم يُعملوا أفئدتهم التي هي وسائل تلقي هدايات السماء والانتفاع بأنوارها، بل ألهاهم الهمز واللمز؛ وذلك لما جمعوا المال وعددوه، وحسبوا

---

(١) سورة الهمزة، الآيات: ١ :٩.

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (٣/ ٢٤٧).

(٣) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (٣/ ٢٤٧).

أن أموالهم ستخلدهم في الدنيا، فكان جزاؤهم أن تطلع النيران الشديدة المحطمة الفاتكة على تلك الأفئدة، التي لم تنتفع بهدايات السماء. يقول صاحب الكشاف:

"﴿وتطلع على أفئدتهم﴾، وهي أوساط القلوب، ولا شيء في بدن الإنسان ألطف من الفؤاد، ولا أشد تألمًا منه بأدنى أذى يمسه، فكيف إذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه. ويجوز أن يخص الأفئدة؛ لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة. ومعنى اطلاع النار عليها: أنها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها"(١).

- **ائتلاف اللفظ مع المعنى**:

"رُوِيَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا أَقَامُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَمْزِ الْمُسْلِمِينَ وَسَبِّهِمْ وَاخْتِلَاقِ الْأُحْدُوثَاتِ السَّيِّئَةِ عَنْهُمْ"(٢).

وفي إيثار النظم القرآني هنا للفظة: ﴿الأفئدة﴾ ما يلائم المقام؛ فهؤلاء المشركون، الذين آذوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومن لف لفهم وسلك سبيلهم من الهمزة اللمزة؛ أعد الله ــ تعالى ــ لهم واديًا في جهنم هو لهم دون غيرهم جزاءً وفاقًا على أعمالهم، وفي هذا الوادي نيران تحطم كل شيء، فهي لا تُبقي ولا تذر، وهي موقدة، لها وقود يمدها فلا تفتر ولا تنطفئ، وهي تطلع على أفئدتهم التي لم ينتفعوا بها في الهداية، رغم أن الله ــ تعالى ــ خلقها لهم للانتفاع بها، بأن تتلقي أنوار السماء، وهدايات الحق.

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (٤/ ٧٩٦).

(٢) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (٣٠/ ٥٣٥).

ولعل في اصطفاء البيان القرآني للفظة: ﴿الأفئدة﴾ معنى اقتراب النيران من قلوبهم التي هي حبات أفئدتهم، إذ الأفئدة أوعية القلوب وأغشيتها، وفي اقتراب النيران من القلوب، ما يعطي معنى وصول النيران لمكمن الكفر وما انطووا عليه من حسد وحقد، دفعهم للهمز واللمز والانتقاص من مقام سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وفي ذلك من البلاغة ما لا يخفى. وعلى ذلك فالصورة كناية؛ إذ اطلاع النيران على أفئدهم، فيه قول بدليل، فالمعنى في الكناية لا يأتي مباشرًا أو عفلًا ساذَجًا نتلقاه باسترخاء، وإنما يأتي منتقبًا بنقاب خفيف يثير النفس ويحرك الفكر، ويدفعهما لنزع ذلك النقاب الخفيف ومواجهة المعنى المراد، والكناية وسيلة من وسائل الإقناع بالمعنى عن طريق التأكيد بالدليل الدافع للتسليم[١] فضلًا عما في الصورة الكنائية من رسم لمشهد مخيف مؤلم، فالحطمة التي تتلظي وتتميز فتحطم عظائم الأشياء تتطلع على الأفئدة الرقيقة الضعيفة، وهنا تتجلى بلاغة القرآن وتتأتى موعظته الخالدة.

وبهذا يتأكد أن لفظة: ﴿الأفئدة﴾ تلائم النظم القرآني لسورة الهمزة، وما كان للفظة سوى ﴿الأفئدة﴾ أن تسد مسدها، وأن تؤدي مؤداها.

---

(١) ينظر: البيان والصورة القرآنية، د/محمد إبراهيم شادي، ص٤٤٦، ط دار فتحي عبدالكريم، ط١، ١٩٩٥م.

الخاتمـــــة:

وفيها أهم نتائج البحث:

- من صور الإعجاز القرآني: دقته في اصطفاء مفرداته التي تـــأتلف مـــع المعاني، وهو اصطفاء بميزان الإعجاز الخـــارق لعـــادات البشـــر فـــي اصطفائهم لألفاظهم.
- لا ترادف في القرآن الكريم، وإنما كل مفردة نسيج وحدها، ولهـــا صـــبغ دلالي لا تؤديه غيرها.
- لفظة: "الفؤاد" أتى معها في القرآن لفظتان تتقاربان معها فـــي الدلالـــة، هما: "القلب"، و"الصدر"، ولكن لهما دلالات أخرى، تلائم معانيَ ومقامـــات وسياقات أخرى غير مقامات وسياقات لفظة: "الفؤاد".
- الدلالة اللغوية لمادة: "فأد" والتي تكشف عنها معاجم اللغة، تهدي إلى سر إيثار البيان القرآني لكلمة: "الفؤاد".
- دلالات المفردات في القرآن تضيف إلى الدلالات المعجمية لتلك المفردات دلالات جديدة؛ فالقرآن نزل باللغة العربيـــة وأضـــاف لثروتهـــا اللغويـــة باستعمالاته.
- ورد ذكر "الفؤاد" في القرآن الكريم ست عشرة مرة، من خلال ست صيغ، وذلك على النحو التالي: "الفؤاد" مرتان في سورتي: الإســـراء والـــنجم، "فؤاد" مرة واحدة، في سورة القصص، "فؤادك" مرتان في سورتي: هـــود والفرقان، "أفئدة" ثلاث مرات، في سور: الأنعام، وإبـــراهيم، والأحقـــاف، "الأفئدة" خمس مرات، في سور: النحل، والمؤمنون، والسجدة، والملـــك، والهمزة، "أفئدتهم" ثلاث مرات: الأنعام، وإبراهيم، والأحقاف).

- استعملت لفظة: "الفؤاد" في القرآن الكريم بالمعاني التالية: أ. غلاف القلب ووعاؤه. ب ــ وسيلة تلقي العلوم والمعارف. ج ــ وسيلة تلقي الهدايات الإيمانية.
- أتت لفظة: "فؤاد" مفردة في مقامات، وجمعًا في مقامات أخرى، وقد كشفتُ عن سر هذا وذاك في مطاوي البحث.
- اقترن ذكر الفؤاد بوسائل التلقي كالسمع والبصر، مما يؤكد أن الفؤاد من وسائل تلقي المعارف والإيمانيات.
- بعض السادة المفسرين ــ عليهم رضوان الله ــ كانوا يفسرون لفظة: "الفؤاد" بالقلب، وهذا تفسير غير دقيق؛ لما يلي:

أولًا: لا ترادف في القرآن الكريم، وإنما لكل لفظة قرآنية صبغ دلالي يرسم شخصية اللفظة، ويحدد ملامح بنائها، مما يؤكد دقة بيان القرآن في اصطفاء ألفاظه.

ثانيًا: القلب غير الفؤاد، وقد استعمل بيان القرآن لفظة: "القلب" في مواضع، كما استعمل لفظة: "الفؤاد" في مواضع أخرى، بل إن القرآن الكريم استعمل اللفظتين في آية واحدة، وذلك في قول الحق سبحانه: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾[1] مما يؤكد أن لكلتا اللفظتين صبغ دلالي ليس للآخر.

ثالثًا: لو شاء الحق ــ سبحانه وتعالى ــ أن يقول "القلب" في المواضع التي قال فيها سبحانه: "الفؤاد" لقال! فكيف يأتي من يفسر القرآن بغير مراد الله؟! ويقول: "الفؤاد" بمعنى: "القلب"، وسمت البيان القرآني يؤكد دقة البيان القرآني في اصطفاء مفرداته.

---

(١) سورة القصص، الآية: ١٠ .

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.
- أساس البلاغة، الزمخشري، تح/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط الأولى، ١٩٩٨م.
- الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عيد الهلالي، محمد بن موسى آل نصر، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ــ المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤٢٥هـ.
- إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، د. حفني محمد شرف، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ القاهرة، ط الأولى، ١٩٧٠م.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تح/ صدقي محمد جميل، الناشر دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ.
- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية– القاهرة، الأولى، ١٣٧٦هـ .
- بيان إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: "ثلاث رسائل في إعجاز القرآن"، الخطّابي، تح د/ محمد خلف الله، د/ محمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر، ط الثالثة، ١٩٧٦م.
- البيان والتبيين، الجاحظ، دار ومكتبة الهلال ــ بيروت،١٤٢٣هـ.
- البيان والصورة القرآنية، د/ محمد إبراهيم شادي، ط دار فتحي عبدالكريم، ط١، ١٩٩٥م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، تح/ جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، بدون تاريخ.

- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع، تح/د.حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، بدون تاريخ.
- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس،١٩٨٤هـ.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تح/ سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية، ١٩٩٩م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، ط دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط الأولى، ٢٠٠١ م.
- جماليات المفردة القرآنية، د/ أحمد ياسوف، دار المكتبى – دمشق، ط الثانية، ١٩٩٩م.
- دلائل الإعجاز، الإمام/ عبدالقاهر الجرجاني، تح/ محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط الثالثة، ١٩٩٢م
- الرسالة الشافية، مطبوع ضمن: "ثلاث رسائل في إعجاز القرآن"، عبد القاهر الجرجاني، تح د/ محمد خلف الله، د/ محمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر، ط الثالثة، ١٩٧٦م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تح/ أحمد عبد الغفور عطار، ط دار العلم للملايين – بيروت، ط الرابعة، ١٩٨٧م.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، المكتبة العصرية – بيروت، ط الأولى، ١٤٢٣ هـ.
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، الطِّيبي، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب، د. محمد عبد الرحيم، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط الأولى، ٢٠١٣م.

- كتاب العين، الخليل بن أحمد، تح/ د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون تاريخ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تح/ فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية– بيروت، ط الأولى، ١٩٩٨م.
- المسند، للإمام أحمد بن حنبل، تح/ أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط الأولى، ١٩٩٥ م.
- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، مكتبة المعارف – الرياض، ط الأولى، ١٩٨٧م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت، بدون تاريخ.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، تح/ عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الأولى، ١٤٢٠هـ.
- معاني الأبنية في العربية، د/ فاضل صالح السامرائي، ط دار عمار للنشر والتوزيع ــ الأردن، ط الثانية، ٢٠٠٧م.
- معجم الفروق اللغوية، أبوهلال العسكري، تح/ الشيخ. بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ«قم»، ط الأولى، ١٤١٢هـ.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د/ أحمد مطلوب، ط المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣م.
- مفاتيح الغيب، الرازي، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الثالثة،١٤٢٠هـ.

ثبت الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٩٣
٢-	Abstract	٩٤
٣-	مقدمة.	٩٥
٤-	تمهيد: مهاد نظري، وفيه: أولًا: تحرير المصطلحات. ثانياً: بلاغة ائتلاف اللفظ مع المعنى في القرآن الكريم.	١٠٠
٥-	المطلب الأول: ائتلاف لفظ: "أفئدتهم"،"أفئدة" مع المعنى في مقام طلب الكافرين مجيء آية ليؤمنوا.	١٠٨
٦-	المطلب الثاني: ائتلاف لفظ: "فؤادك" مع المعنى في مقام بيان حكمة قصّ أنباء الرسل على سيدنا محمد.	١١٣
٧-	المطلب الثالث: ائتلاف لفظ: "أفئدة"،"أفئدتهم" مع المعنى في مقام دعاء إبراهيم بعمارة مكة.	١١٧
٨-	المطلب الرابع: ائتلاف لفظ: "الأفئدة" مع المعنى في مقام امتنان الله على عباده بخلق وسائل التلقي.	١٢٤
٩-	المطلب الخامس: ائتلاف لفظ: "الفؤاد" مع المعنى في مقام النهي عن الوقوع في الكبائر.	١٢٩
١٠-	المطلب السادس: ائتلاف لفظ: "الأفئدة" مع المعنى في مقام تبكيت منكري البعث.	١٣٣
١١-	المطلب السابع: ائتلاف لفظ: "فؤادك" مع المعنى في مقام بيان حكمة نزول القرآن منجماً.	١٣٦

م	الموضوع	الصفحة
١٢-	المطلب الثامن: ائتلاف لفظ: "فؤاد" مع المعنى في مقام خوف أم موسى على ولدها.	١٣٩
١٣-	المطلب التاسع: ائتلاف لفظ: "الأفئدة" مع المعنى في مقام ذكر أطوار خلق الإنسان.	١٤٣
١٤-	المطلب العاشر: ائتلاف لفظ: "أفئدة"،"أفئدتهم" مع المعنى في مقام التذكير بما كان من عاد من عدم الانتفاع بوسائل تلقي الهدايات.	١٤٦
١٥-	المطلب الحادي عشر: ائتلاف لفظ: "الفؤاد" مع المعنى في مقام ذكر رحلة المعراج.	١٤٩
١٦-	المطلب الثاني عشر: ائتلاف لفظ:"الأفئدة" مع المعنى في مقام ذكر اتصاف الله ـ تعالى ـ بتمام الملك والقدرة والعلم	١٥٢
١٧-	المطلب الثالث عشر: ائتلاف لفظ: "الأفئدة" مع المعنى في مقام ذكر عذاب الهماز اللماز.	١٥٥
١٨-	الخاتمة.	١٥٨
١٩-	ثبت المصادر والمراجع.	١٦٠
٢٠-	ثبت الموضوعات.	١٦٣